الهوية

هوية الأسرة الكويتية في مكتب تقافة العولمة!

سمات الهوية في الفن الإسلامي "العصر المغولي"

أسر الشهداء في الكويت.. مظاهر الدعم ومؤشرات الاستقرار

ISSN: 1728-5135

الفرسة الخامسة والاربعون - تصدر عن الديوان الأميري - مكتب الشهيد - دولة الكويت - مايو - يونيو 2006م

١٠

هوية الأسرة الكويتية
في مهب ثقافة العولمة

٢٠

الجدران ..جريدة التاريخ
ومنبر الحرية الصامت

الهوية

الفرسة الخامسة والأربعون تصدر
عن الديوان الأميري - مكتب الشهيد
دولة الكويت - مايو - يونيو 2006م

بصمتنا ٤
السور الرابع ٦
من شهداء الاسلام ٨
من شهداء العروبة ٥٤
من رموز الحرية ٥٦

٤٦ أظمـاء الإبـل

٥٠ المقاومة الكويتية .. بريشة من نور ونار

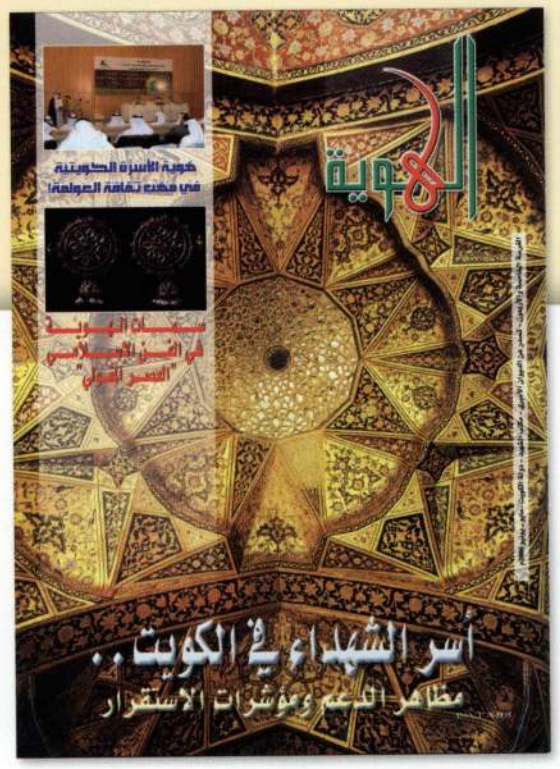

● صورة الغلاف

عن كتاب الفن والمعمار الإسلامي لهنري شرلن

المشرف العام
د. جاسم يوسف الكندري

رئيس التحرير
تركي أحمد الأنبعي

مديرة التحرير
فايزة مانع المانع

سكرتير التحرير
خالد نمش النمش

الحميضي
AL HUMAIZI
PRINTING PRESS

الهوية في سطور

مجلة دورية تعنى بتأصيل الهوية الوطنية مرتكزة على قضية الشهادة والشهداء لأنها لُبُّ الانتماء ومادة الهوية.

إن الهوية كمجلة تتسع باتساع مفهومها لتشمل كل القضايا الوطنية والخليجية والعربية فكراً واجتماعاً، وتاريخاً، وتراثاً.

إننا نرى الهوية (المجلة) مشروعاً طموحاً ومتطوراً يتعلق بالمستقبل أكثر مما يتعلق بالماضي، فهويتنا في النهاية هي ما يميزنا ويحفظ وجودنا في زمن التشابه والذوبان.

المراسلات باسم رئيس التحرير - مكتب الشهيد - اليرموك-ص.ب.: 28171 - الصفاة 13158 - دولة الكويت
بدالة: 888101 داخلي: 270 - مباشر: 5346745 - فاكس: 5341658

بقلم: فايزة مانع المانع
fayzaalmane@yahoo.com

مرحباً بـ.. ناصر ال

ولا أروع مـن أن يكون المسؤول مزروعاً في قلب الثقافة، مستنبتـاً في تربـة الفـن، وأي ثقافـة تلـك الضاربة في العمق الموغلة في الزمن الرابضة في الجذور، من هناك مـن أغوار تاريخ سحيق يهيم به عشقاً وافتتاناً ويرحل بحثاً عـن آثاره وأطـواره ومظاهره تأمـلاً واقتناءً، تقصيـاً وبحثا، تنقيبـاً وتحليلاً، إنـه ذلك النوع الرفيـع والنـادر من المبدعـين الذين يبحثون عـن السمات الجوهريـة المشتركة في روح الفن الذي يعشقون ويهيمون.

إنـه الشيخ ناصر صباح الأحمد الصبـاح وزيـر شـؤون الديـوان الأمـيري عاشق التراث المفتـون بالأصالة المؤمن بالثقافة كخيار استراتيجـي وكحاجة مُلحة وكواجهـة حضارية لا غنى عنهـا لوطنه، يقـول في لقاء معه نشـر في مجلة العربي الكويتية عدد 965.

«عندما نطبـق هذه الرؤية، فسـوف يساعدنا هذا على الخروج مـن محدودية المجتمـع الكويتـي الضيق وفتح ثغـرات في جـدار العالم من حولنـا، تساعدنـا على أن نفهـم الآخر بطريقة أفضل وبالتـالي نحقق مزيداً من النجاح ونحصل على ثقة العالم ودعمه لنا».

الشيـخ ناصر صباح الأحمد ذلـك النموذج الفريد من المثقَّفـين - المثقِّفـين - وكيـف لا يُثقـف غـيره وقد نقل مجموعته الآثارية النـادرة من ملكية خاصة إلى ملكية عامـة وأتاحها للجمهور ليس في وطنه فحسب إنما على امتـداد العـالم في تأثير ثقافي لا ينكـر وببصمة عميقة

ثقافة

مؤثرة هادئة هدوء الخاشعين في محراب الثقافة والوعي، وفي تعبير دقيق وصادق ذي دلالة واضحة على مفهوم ثقافي لا التباس فيه يتجلى سلوكاً كسلوك الشيخ ناصر إدراكاً للذات في الآخر وإدراكاً للآخر في الذات في علاقة جدلية تعزز الوعي وتضيف للمجتمع.

إن نموذج المثقف الفاعل هو حقيقة ما نحتاج إليه اليوم أكثر من أي وقت مضى، وخاصة في ظل عولمة ممتدة نحو كل شيء وإلى كل مكان، عولمة يبرز فيها من يحسن إدارة مفاتيحها ويفكك أسرارها دون خوف ورهبة أو ضعف وخنوع.

إن الثقافة الآثارية والفنية تلك التي يتبناها ويؤمن بها الشيخ ناصر صباح الأحمد الصباح وخاصة آثار الحضارة العربية الإسلامية، ويساهم أيضاً في حمايتها وترميمها في دول عديدة في العالم، إنما يقدم من خلالها رسالة سامية وعالية تصب في خانة دور المثقف الحقيقي المؤمن بأمته الساعي لتقديم أفضل صورة عنها، إنه يمارس أرقى أنواع التواصل الثقافي المطلوب عندما يدفع بالخصوصيات إلى آفاق عالمية رحبة ويقدم بجهد عملي ملموس ما قدمه آخرون بأقوال من دون أفعال أو قُدم بسلوك ضر وما نفع، تؤازره في كل ذلك زوجة مثقفة ذات رؤية فنية مميزة هي الشيخة حصة صباح السالم الصباح مديرة دار الآثار الإسلامية في الكويت ليشكلا معاً نموذجاً للمثقف الحقيقي المستقل المؤمن بقيمه إلى حدود التضحية، فمرحباً بالشيخ ناصر .. وأهلاً بنصير الثقافة.

حين وصل إلى مقر عمله في الحرس الوطني في ذلك اليوم المشؤوم لم يكن يعلم شيئاً، وما أن دخل حتى صعقه زملاؤه بخبر الغزو .. الفاجعة.

اتصل بزوجته وأوصاها بابنتيهما، وطلب منها أن تطمئن عليه ولا تقلق، بينما كان في المعسكر يترصد دخول القوات الغازية للاشتباك معها.

الإصرار على المقاومة دفعه حتى إلى عصيان الأوامر

الشهيد جمال اللنقاوي.. شموخ حتى آخر قطرة دم

صعقه الخبر المشؤوم، وألهب غضبه وحنقه، فراح يترصد الفرصة لاقتناص أكبر عدد ممكن من جنود الاحتلال الصدّامي الغادر، تمترس في الدور الثاني من مبنى الحرس الوطني، ورفض الانصياع للأوامر الصادرة بإخلائه، بعد أن تحول إلى ما يشبه دريئة ركزت عليها نيران العدو. كان الشهيد البطل جمال سالم خلف اللنقاوي ينتظر لحظة دخول قوات البغي حتى يصب عليها كل ما يستطيع من نيران، عله يشفي بعضاً من غليله، لكنه حين رأى اشتداد القصف على العيادة في الدور الأول هرع للنجدة، وهاله ما رأى داخلها من جرحى. في تلك الأثناء سمع القصف في الخارج، ولما استطلع الأمر رأى أحد المصابين يتلوى على الأرض، فهب لنجدته وادخاله العيادة وبينما كان يهم بحمله أصابته قذيفة غادرة في القلب مباشرة، ففاضت روحه إلى بارئها لتدخل جنات الخلد من أوسع أبوابها.

في صباح يوم الثاني من أغسطس المشؤوم، استيقظ الشهيد جمال باكراً كعادته، ولم

رفض الانصياع للأوامر بعدم الخروج حين رأى أحد زملائه ممدداً على الأرض إثر إصابته بشظايا قذيفة غادرة، فهب لنجدته.

يكن يعلم أن القوات العراقية اجتاحت أرض الوطن استقل وزوجته السيارة إلى مقر عمله في الحرس الوطني، وكانت الساعة تقترب من السابعة والنصف حين نزل أمام المعسكر أما الزوجة فقد واصلت طريقها وكان اليوم بالنسبة لهما من الأيام العادية.

في المعسكر

سيطرت على الشهيد مشاعر الغضب والقلق عندما سمع الخبر في المعسكر، وكان يريد معرفة كل الحقائق وبسرعة لذلك ظل يتحرك من مكان إلى آخر، ويسأل كيف وصلت هذه القوات إلى أرض الكويت، وعندما بدأت عملية توزيع الأسلحة على العسكريين أخذ الشهيد بندقيته وكان ينوي القيام بعمل ما للدفاع عن الوطن، وعند الساعة الواحدة ظهراً كلم زوجته وأوصاها بابنتيهما وطلب منها أن تطمئن عليه ولا تقلق، فسألته إن كان ينوي الخروج من المعسكر فأجابها بالنفي، وأكد لها أنه سوف يبقى في مكانه مما زاد من قلقها عليه، فحاولت بعد ذلك الاتصال به مرات عدة دون جدوى إلى أن هاتفها هو الساعة الثالثة عصراً ولكن هذه المرة شعرت من حديثه أنه في وضع صعب جداً، وحزين وكأنه يعاني من إصابة وقد كرر رحمه الله وصيته لزوجته برعاية ابنتيهما كما أوصاها بنفسها، ثم أغلق السماعة ولم يترك لها فرصة مواصلة الحديث معه.

الاستشهاد

كان المعسكر في ذلك الوقت يتعرض لنيران

أصابته قذيفة في القلب تماماً، وحين كان د. أحمد العربيد يضغط على صدره لوقف النزيف كان الدم يتدفق من بين أصابعه بغزارة.

قذائف القوات العراقية الغازية، والتي كانت متمركزة خارج المعسكر وكان أبطال الحرس الوطني يتبادلون إطلاق النار معهم بشراسة وشجاعة، وفي تلك الأثناء صعد الشهيد مع بعض الشباب إلى الدور الثاني في إدارة التوجيه المعنوي لترصد القوات العراقية خارج المعسكر من الشباك، وكانت الساعة ما بين الثامنة والعاشرة صباحاً، وبينما هو ينظر من الشباك طلب أحد الشبان من كل الأفراد في ذلك الدور النزول خوفاً عليهم من النيران العراقية، لأن القصف بدأ يركز على ذلك الدور، وقد نزل كل الأفراد، أما الشهيد جمال فقد أصر على البقاء ورفض النزول، وقال إنه يريد مشاهدة القوات العراقية وسينزل بعد قليل والحقيقة أنه كان ينتظر لحظة دخول تلك القوات إلى المعسكر حتى يطلق النار عليها، لكن أمام اشتداد القصف على العيادة في الدور الأول نزل إليها، وكان الدكتور وليد بشارة أمر الجميع بعدم الدخول والخروج إلى ومن العيادة إلا للضرورة القصوى خوفاً على أرواحهم.

وكان الشهيد جمال في تلك الأثناء قد دخل العيادة، وبينما كان الدكتور وليد يطلب من الرائد الدكتور يعقوب عدم الخروج من العيادة لخطورة الوضع خرج الشهيد جمال منها فجأة لكي ينقذ أحد المصابين بإدخاله إلى العيادة، فوجهت القوات العراقية قذيفة نحوها فأصابت الشظايا الشهيد جمال وسقط على الأرض. عندئذ أسرع الدكتور الرائد يعقوب وسحبه إلى العيادة رغم خطورة الوضع فأصيب الدكتور إصابة أفقدته بصره للحظات، كما أصيب كتفه.

وفي تلك الأثناء ازدادت الإصابات في العيادة وتحولت إلى مجزرة لكثرة القتلى والجرحى ومن بينهم الشهيد جمال الذي كان الدكتور أحمد العربيد، وهو أحد أطباء الحرس الوطني يحاول إنقاذه كان يصرخ وينادي الدكتور وليد الذي أسرع نحوه فوجده يجلس على الأرض وقد وضع الشهيد جمال على ركبتيه، وكان يضغط على صدره في محاولة منه لوقف الدم المتدفق من بين أصابعه، وبناء على طلب محاولة الدكتور وليد رفع الدكتور أحمد يده فإذا بالدم يتدفق بغزارة لأن الشظايا أصابت قلب الشهيد جمال، فأيقن الدكتور وليد من أنه لا جدوى من محاولة إسعافه، وبالفعل في تلك اللحظة صعدت روحه الزكية إلى بارئها، بعد أن أدى دوره وهو الذي كان ينتظر دخول القوات المعتدية إلى داخل المعسكر لكي يطلق النيران عليها.

وبعد استشهاده وضع جثمانه تحت أحد كراسي العيادة وذلك لصعوبة نقله إلى المستشفى مع استمرار القصف العراقي، بينما كانت قوات الحرس الوطني الباسلة تواصل مقاومتها، وقد تحمل الكثير من الجرحى إصابته واستمر في المقاومة، تلك المقاومة والبطولة التي منعت قوات العدو من دخول المعسكر، وعند الساعة ٩,٣٠ وصلت الأوامر إلى الدكتور وليد من القيادة بضرورة إخلاء العيادة حرصاً على الأرواح، لكنه رفض لأن العيادة كانت ممتلئة بالجرحى والإخلاء يشكل خطورة بالغة إنما وبعد حوالي ساعة وبالاتفاق مع الدبابات الكويتية التي قامت بقصف القوات العراقية استطاع العديد من العسكريين الخروج رغم

حين اتصل بها أهله وطلبوا منها الحضور ظنت زوجته أنه عاد، لكن ما إن وصلت وسمعت البكاء حتى أغمي عليها.

خطورة هذه المحاولة بسبب انتشار القوات العراقية في معظم الطرق، ولكن لا مفر من المغامرة في سبيل إنقاذ أرواح هؤلاء الجرحى، واستطاع الدكتور وليد بشارة ومن معه من الأطباء نقل العديد من الجرحى والوصول بهم بأمان إلى مستشفى العدان، وفي الوقت نفسه نقل الكثير من العسكريين جثث إخوانهم الشهداء من المعسكر إلى المستشفى قبل أن تسيطر عليه القوات الغازية.

وصول خبر الاستشهاد

كان أهله يعلمون أنه في المعسكر يؤدي واجبه، فسألوا عنه في اليوم نفسه لكن دون جدوى، وفي اليوم التالي ذهبت زوجته مع شقيقته إلى الحرس الوطني تبحثان عنه، وهناك لم تتمالك الزوجة أعصابها فكانت تبكي وتسأل عن زوجها الغالي: أين هو؟ هل لا يزال على قيد الحياة؟ هل تم أسره؟ هل جرح؟ وتم نقله إلى المستشفى؟

لما لم تلق رداً على أسئلتها أسرعت إلى مستشفى الصباح تبحث عنه بين الجرحى فلم تعثر عليه، لقد كانت متلهفة على معلومة واحدة ترشدها إلى مكان زوجها دون جدوى، إلى أن قابلت واحدة من معارفها تسأل عن زوجها العسكري هي الأخرى، فأخبرتها أنها سوف

رغم استشهاده ظل ينتاب الزوجة أمل في أنها ستراه، كيف ولماذا .. لا تعلم، لكنها تشعر أنه سوف يعود!

تذهب إلى مستشفى العدان لكي تسأل عنه وسوف تسأل أيضاً عن الشهيد جمال.

مر اليوم بطيئاً على الزوجة وهي تنتظر لعل وعسى يدخل عليها زوجها أو تسمع ما يطمئن فؤادها لكن شاءت إرادة الله غير ذلك، ففي ذلك اليوم الحزين خابرتها شقيقة الشهيد جمال وطلبت منها المجئ إلى منزل أهل زوجها لأمر هام، ويا لها من لحظات قاسية امتزجت فيها مشاعر الفرح والحزن فقد كانت تظن أن زوجها قد عاد، ولم تنتظر الاطمئنان عليه بنفسها فسألت شقيقته هل جاء جمال؟ فجاء الرد الذي أثار الشك في مصيره حين أجابتها «تعالي» عند ذلك ادركت الزوجة أنه لم يعد وما أن وصلت إلى المنزل وسمعت بكاء أهله حتى أغمي عليها.

فقد ذهب الزوج العزيز ولن يعود ولن تراه، لكن رغم ذلك ظل ينتابها شعور بالأمل في أنها سوف تراه كيف ولماذا؟ لا تعلم، لكنها تشعر أنه سوف يعود، والحقيقة أنه استشهد ولن يعود، لقد افتقدت زوجها الشهم الكريم المحب الشجاع الصبور الذي كان يتمنى الشهادة وأيقنت أن العلاج الذي يدخل الراحة على قلبها هو الإيمان بقضاء الله وقدره.

رحم الله الشهيد فقد أصر على الصمود في المعسكر وكان منكراً لذاته عندما حاول إنقاذ المصاب فكانت الشهادة .. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه أعلى جناته.

من كتاب (حيثيات الاستشهاد)

للدكتور نايف السهيل - «بتصرف»

تمام أحمد

أبو دجانة الأنصاري شهيد يوم اليمامة

قال تعالى: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) «الأحزاب ٢٣»

(والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) «التوبة 100».

التفاؤل بالنصر مقدمة النصر، والقوة الروحية الراسخة الجذور في قلب كل فرد من أفراد الأمة المسلمة هي التي حققت الانتصارات الباهرة التي لا نزال نفتخر ونعتز بها ونلقنها لأبنائنا جيلاً بعد جيل حتى يسيروا على خطاها وينهلوا من معينها ويقتفوا أثرها ويعتبروا من دروسها وعظاتها، وعلى العكس من ذلك تماماً فإن مجرد الشعور والإحساس بالوهن والضعف تكون الهزيمة المحققة وإن لم تقع.. لقد تربت الصفوة المختارة من صحابة رسول الله ﷺ على المبادئ والقيم النبيلة التي جاء بها صاحب الرسالة فكانوا

بحق مشاعل ومنارات هدى في البذل والعطاء، والتضحية والفداء، وكانوا زاداً ضخماً من الثبات على الحق والاستهانة بالصعاب فاستحقوا وعد الله عز وجل وهو السيادة على الأرض والفوز بالجنة والنعيم والرضوان في الدار الآخرة، ومن هذه النماذج البشرية المؤمنة الفذة التي رفعت اللواء خفاقا وقاتلت حتى استشهدت الصحابي الجليل أبو دجانة الأنصاري شهيد يوم اليمامة رضوان الله عليه وعلى صحابة رسول ﷺ أجمعين.

فمن هو هذا الشهيد البطل الذي ضرب بسيف الرسول وحماه بجسمه وهو يقول: (نفسي دون نفسك وعيني دون عينك والسلام عليك غير مودع».

«أبو دجانة» لقب غلب على هذا الصحابي الأنصاري الجليل كما غلب عليه لقب آخر عرف به ألا وهو الفارس صاحب العصابة الحمراء لأنه عندما ينزل إلى أرض المعركة كان يعصب رأسه بعصابة حمراء ليلقي الرعب في قلوب الأعداء أما اسمه الحقيقي فهو: سماك بن خرشة بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الساعدي، عرف بالبطولة والشجاعة منذ شبابه فكان في جاهليته يقضي معظم أيامه ممتطياً ظهر جواده غير هياب ولا وجل مستهيناً بأعدائه وخصومه قبل أن ينازلهم وكان يحاورهم ويداورهم في النزال ثم ينقض عليهم كالسهم الصاعق ولما وصل الرسول الكريم ﷺ مهاجراً من مكة إلى يثرب وبدأت الدعوة الإسلامية تنتشر في أرجاء يثرب دخل الإسلام قلبه وآمن مبكراً إيمان العقلاء الأقوياء، وبايع رسول الله ﷺ على السمع والطاعة وعلى حماية الدين والعمل على نشر مبادئه مهما كانت الصعاب ومهما كانت التضحيات وصدق أبو دجانة ووفى بعهده وانطلق في كل الأرجاء يدعو إلى الله على هدى وبصيرة والإيمان يملأ قلبه وكيانه حتى علا صيته في بوادي العرب وصحاريهم وأصبح يشار إليه بالبنان.

ولكن هل أصابه الغرور؟ كلا لقد كان الخوف من الله والخشوع في عبادته يملآن فؤاده ويجعل من أبي دجانة إنسانا وادعاً رقيق القلب وهو المعروف بالشدة والبأس وقوة المراس.

كان أبو دجانة ينتظر بصدق اللحظة التي يتقابل فيها مع أعداء الله ليثبت لرسول الله ﷺ صدق إيمانه ووفائه للدعوة وصاحبها وحانت له الفرصة عندما وصلت الأخبار للرسول الكريم ﷺ أن قافلة لقريش قادمة من الشام محملة بالبضائع يقودها أبو سفيان على مقربة من يثرب فندب الرسول ﷺ أصحابه للخروج إليها لاسترداد أموالهم التي تركوها في مكة وأخذها الكفار غنيمة دون وجه حق وكان أبو دجانة على رأس الذين لبوا النداء ومع أن المسلمين خرجوا، دون أن تكون لهم نية في القتال إلا أن كفار مكة أبوا إلا المواجهة والنزال وحصل ما أرادوه وأثبت أبو دجانة في معركة بدر الكبرى «٢ هـ» صدق إيمانه فقاتل مع أصحابه قتال الشجعان حتى كتب الله النصر للمؤمنين وأخزى عدوهم.

من يأخذ هذا السيف بحقه؟

وفي معركة أحد «٣ هـ» وفيما كان الرسول الكريم ﷺ يستعرض صفوف المجاهدين وهو يحمل سيفه بيده قال لهم: من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فسأله أصحابه؟ وما حقه يا رسول الله؟ فقال: أن تضرب به العدو حتى ينحني. فتردد الصحابة في الأمر لأن المهمة كبيرة وتحتاج إلى عزم وإصرار لكن أبا دجانة وقف وقال للرسول الكريم ﷺ: أنا أخذه يا رسول الله بحقه! فسلمه الرسول إليه وما كان من أبي دجانة إلا أن أخرج عصابة حمراء «عصابة الموت» وعصب رأسه وخاض غمار المعركة وهو ينشد:

أنا الذي عاهدني خليلي

ونحن بالسفح لدى النخيل

أن لا أقيم الدهر في الكبول

أضرب بسيف الله والرسول

كان أبو دجانة يجندل أعداء الإسلام من الكفار يمينا وشمالاً، وعندما انقلب ميزان المعركة لصالح العدو بعد أن ترك الحماة مواقعهم ظنا أن الهزيمة قد حاقت بالمشركين وخالفوا أوامر الرسول ﷺ وقف أبو دجانة حول الرسول ﷺ وجعل نفسه ترساً فكانت النبال تقع على ظهره وهو غير مبال وصاح بأعلى صوته: «نفسي دون نفسك وعيني دون عينك والسلام عليك غير مودع» كلمات سجلها التاريخ بأحرف من نور لأنها خرجت من وجدان أبي دجانة وضميره.

معركة اليمامة

لم يتخلف أبو دجانة عن معركة من المعارك التي خاضها مع الرسول الكريم ﷺ حتى إذا انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى تابع أبو دجانة جهاده مع الخليفة الصديق رضي الله عنه حتى إذا وقعت حروب الردة كان أبو دجانة في مقدمة المقاتلين عن الإسلام ودولته فانضوى تحت لواء خالد بن الوليد رضي الله عنه لقتال المرتدين من بني حنيفة وانهزم المسلمون في بادئ الأمر لكن خالداً صاح فيهم مذكراً بالعهد الذي قطعوه على أنفسهم «إما النصر أو الشهادة» فاجتمعت الصفوف من جديد واندحرت قوات المرتدين وفروا هاربين إلى حديقة مسورة حصينة وأغلقوا عليهم الأبواب وأخذوا من خلف أسوار الحديقة يرمون المسلمين بالنبال والسهام.

أشار أبو دجانة على اخوانه أن يحملوه على لوح خشب ويقذفوه داخل الحديقة (الحصن) وتم له ما أراد رغم الكسر الذي أصابه وأخذ يضرب بسيفه يميناً وشمالاً حتى فتح الباب وتدفقت جموع المسلمين إلى داخل الحديقة وهي تهلل وتكبر أما أبو دجانة الذي أثخنته الجراح فقد خارت قواه وأسلم الروح إلى بارئها بعد أن اكتحلت عيناه برؤية إخوانه وهم يحققون النصر المبين على جموع المرتدين، رضي الله عنك يا أبا دجانة نظير ما قدمت، من بطولات، ورضي الله عن المجاهدين الأبرار في كل جيل وعصر.

ندوة

أحمد عبدالحميد

كيف نحفظها من الذوبان في فلك طغيان الإنترنت والفضائيات؟

هوية الأسرة الكويتية في مهب ثقافة العولمة!

ما إن انبثقت ثورة الاتصالات الحديثة حتى تدفقت سيول العولمة الثقافية تجتاح المعمورة، بسرعة وغزارة، ومن كل حدب وصوب. فقد دخلت شبكة الإنترنت العنكبوتية والقنوات الفضائية السرطانية عقر بيوتنا دون استئذان وراحت تعرض لنا العجب العجاب، من سلوكيات وعادات وأنماط حياة وهويات لم نألفها، ولا تتآلف مع أخلاقياتنا وديننا الإسلامي الحنيف. وقد حاصرتنا تلك العروض بتكرارها المتواصل إلى أن صرنا نرى علامات التأثر بها ماثلة للعيان على نسبة لا يستهان بها من شبابنا، وعلى مظاهر عديدة من مجتمعنا، الأمر الذي بات يدق ناقوس الخطر لتحصين الأسرة ضد الذوبان في تلك الأمواج المتلاطمة من السلوكيات والأنماط الغريبة حتى لا يتخلخل المجتمع وتتبدد هويته.

من هذا المنطلق رعى وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية ووزير العدل الدكتور عبدالله المعتوق مؤتمر «هوية الأسرة الكويتية في ظل ثقافة العولمة»، الذي نظمته اللجنة النسائية في جمعية الإصلاح الاجتماعي بالتعاون مع كلية الدراسات العليا وكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الكويت، واستمر ثلاثة أيام بمشاركة فاعلة من عدد من نواب مجلس الأمة ومسؤولين في وزارات عدة إضافة إلى عدد من الأكاديميين والباحثين.

د. عبدالله المعتوق: الأسرة معقل القيم وحضن المجتمع الحصين واختراقها يعني الهيمنة على المجتمع كله.

وشهد المؤتمر عدداً من الجلسات التي تضمنت محاور كثيرة تطرقت إلى سبل المحافظة على هوية الأسرة الكويتية وبحثت المتغيرات التي طرأت على المجتمع الكويتي، ودور مؤسسات القطاعين العام والخاص في الحفاظ على هذه الهوية وحمايتها.

وأكد الدكتور المعتوق في كلمته في المؤتمر أن التوجه صوب الأسرة الكويتية المسلمة، للحفاظ على هويتها ومكتسباتها الحضارية والقيمية وفق المعايير الإسلامية وحمايتها من التفكك والانهيار، ودراسة المشكلات التي تعانيها يدل دلالة أكيدة على قدر الأسرة الكويتية في المجتمع الكويتي ومؤسساته، وأنها

تمثل سياج أمن ووقاية له مما يحدق به من كل صوب وحدب.

وقال إن الشواهد التاريخية دلت ولا تزال على أن التربية الأسرية هي الباقية، وهي القادرة على التجاوز واستئناف الفعل الاجتماعي، وعلى الاحتفاظ بالخمائر الاجتماعية وإعادة إفرازها في المجتمع في الوقت المناسب، فالأسرة هي المعقل الذي يحتفظ بالقيم، ومن خلالها يتم النقل الاجتماعي، لذلك لا تتم السيطرة وإحكام الاختراق والهيمنة إلا باستهداف الأسرة، لأنها الوحدة الحضارية الأقوى.

وأضاف: لقد تكلمنا وكتبنا وخطبنا كثيراً عن دور المرأة ومكانة الأسرة في الإسلام، وأسس اختيار الزوج والزوجة، وعن حقوق المرأة وحقوق الأبناء والآباء، بما لا يدع مجالا لاستزادة مستزيد إلا أن التوجه صوب الأسرة ودراسة مشكلاتها، والتعرف إلى التحديات التي تواجهها، وإصلاح الخلل الذي تعانيه، وإبصار المستقبل الذي ينتظرها في ضوء التطورات والمتغيرات العالمية، لم يحظ بالقدر المطلوب من الاهتمام في تحويل التراكمات المعرفية إلى برامج عملية وأوعية تطبيقية.

وقال الدكتور المعتوق: إن التقنيات الحديثة، من فضائيات وانترنت أوجدت لكل فرد في الأسرة جوه الخاص، أو الجو البديل، أو المناخ البديل عن مناخ الأسرة، وإن كان ضمن الأسرة نفسها، فلكل مجتمعه، ولكل موارده التربوية والثقافية ولكل خياراته.. وأن بعض الأسر قد بدأت تتحول شيئاً فشيئاً إلى ما يشبه المجتمع السكني، أو المبنى الفندقي، إضافة إلى بعض التقاليد والعادات التي تحمل معها نماذج رديئة، الأمر الذي يقطع بأن الأسرة المسلمة في خطر وأنها مستهدفة، لأنها تعتبر من أواخر الحصون الإسلامية التي لم تسقط بعد، أملاً في إغراقها في بحر الفلسفات والممارسات التي سقطت فيها الأسرة في الثقافات الأخرى.

وأكد ضرورة الحفاظ على الهوية الكويتية وتراثنا وماضينا وثوابتنا، لأن من لا ماضي له لا مستقبل له، متسائلا: «إذا كانت كل من فرنسا وألمانيا وإيطاليا ودول أوروبا تستنكر ما يسمى بالعولمة للحفاظ على ثوابتها وماضيها وتاريخها فكيف بنا نحن المسلمين؟!».

وأكد أن وزارة الأوقاف والحكومة والمجتمع المدني جميعهم مهتمون بالحفاظ على الهوية الكويتية في ظل هذه العولمة، مضيفا: «مع هذه الفضائيات والانترنت ومع تحول العالم إلى قرية صغيرة، يجب ألا نذوب في هذه القرية، ولا تذوب ثوابتنا وماضينا، بل لابد من المحافظة على هويتنا المنبثقة من الهوية الإسلامية».

وأوضح أن العولمة كلمة عامة إلا أن الشباب فئة مستهدفة باعتبارهم عماد الوطن ورجال المستقبل، ولذلك يجب الحفاظ على القيم المنبثقة من تعالمينا الإسلامية، لأن ما نراه من هول ما يأتينا ومما يطلق عليه العولمة شيء ذو خطر يدفعنا إلى المحافظة على هويتنا بكل ما نملك من قوة سواء على مستوى المؤسسات الحكومية أو مؤسسات المجتمع المدني.

العالمية والعولمة

من جهتها قالت هيفاء العبدالجادر في كلمة لها نيابة عن اللجنة المنظمة إن العالم اليوم يقف أمام خيارات دقيقة تجاه عصر العولمة، وما يتطلبه من استحقاقات، فهل تملك الشعوب والدول الجاهزية المناسبة للتعامل مع العولمة بما يضمن لها هويتها الذاتية من جهة ويمكنها من المشاركة الإيجابية فيها من جهة أخرى؟ وكيف يمكنها الاستفادة من هذه التطورات العلمية في الحفاظ على خصوصياتها الثقافية وتعزيز هويتها الوطنية؟

وأشارت إلى الاختلاف بين العالمية والعولمة، موضحة أن العالمية تعني طموحاً وارتفاعاً بالخصوصية (الثقافية والدينية والحضارية) إلى مستوى عالمي، وتوطين ما هو عالمي ليكون أحد ملامح الخصوصية، كما تفسح المجال لتلاقي الثقافات وتفاعلها وتحترم السيادة الوطنية وحضارة الشعوب وقيمها وتراثها، وبالتالي فهي تطمح إلى مشروع واجب الأخذ والعطاء في التعارف والحوار والتلاقي، أما العولمة فتعني تدفق الثقافات والأفكار من

هيفاء العبدالجادر: كيف نشارك في العولمة ونحافظ على هويتنا الذاتية في آن معاً؟

د. عادل الفلاح: قيمنا المستمدة من الهدي الرباني وموروثنا التاريخي الضمان الأوحد لحفظ هويتنا.

وإلى الآخر، ورفع جميع القيود والحواجز، وفرض نمط محدد على الشعوب والدول في الثقافة والسياسة والاقتصاد، مضيفة أن العولمة أخذت تؤثر في الثقافة بفعل دينامية الاتصالات الحديثة والتدفق الإعلامي الكثيف واتساع دائرة الاختلاط بين الأقوام والثقافات الأخرى.

معالم الهوية الوطنية

جاءت الجلسة الأولى للمؤتمر بعنوان: (معالم الهوية الوطنية الكويتية.. ثوابت ومتغيرات)

د. عادل الصرعاوي: الأسرة أساس التنمية البشرية.. وبصلاحها يصلح المجتمع.

صبيحة الجاسم: اختلال التركيبة السكانية في الكويت أكثر خطراً على المجتمع من العولمة.

وحاضر فيها وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية د.عادل الفلاح والأمين العام المساعد للمجلس الأعلى للتخطيط صبيحة الجاسم.

قال الفلاح في كلمته إن كل الأمم تبتغي الرقي والنجاح، ولخصوصية الأمة الإسلامية فإن نجاحها ورقيها بمستجدات العصر العلمية والعملية لا يكمن في تمكنها من فعل ما يفعله الآخرون، وإنما في قدرتها على الانفتاح على الآخرين مع ضبط حركتها على الكتاب والسنة، وتحقيق واجب الاتباع مع صياغة وتأطير ما تقتبسه بما يلائم خصوصيتها، فنعطي الأولوية للدين على الدنيا وللمبدأ على المنافع الدنيوية، وللجوهر على المظهر، وللنمو الإيماني على النمو المادي.

وأضاف أنه لا شيء بلا هوية وأن أساس التطور النافع والتقدم الصحيح هو ترسيخ العقيدة والقيم والأخلاق، مؤكداً أن قيمنا الراسخة المستمدة من الهدي الرباني ومن موروثنا التاريخي الضمان الأوحد لحفظ هويتنا الكويتية، موضحاً أن هناك فرقاً شاسعا بين مفهوم الانفتاح على الآخرين وبين تبعية الأمة فعزة الأمة تأبى التبعية كي لا تذوب في المجتمعات الأخرى وتتبع أهواءها وتقاليدها فتفقد بذلك أصالتها وشخصيتها المتميزة.

واعتبر أن الهوية الكويتية بإمكانها أخذ محاسن العولمة واستثمار ما فيها من خير ودفع ما يعارض مبادئها من خلال منهج الموازنة العادلة بين الثوابت والمتغيرات في الإسلام، وهويتنا معروفة بحسن استخدام الآليات والوسائل والأدوات وتفعيلها على الوجه الأكمل، ومبنية على الوسطية في الفهم والممارسة.

وأوضح أن من أبرز ملامح الهوية الكويتية التلاحم بين الراعي والرعية والإقرار بالتحديات الفكرية والدينية والحضارية والثقافية، مؤكداً أن التحديث الحق والتطور النافع هو السعي للتقريب بين واقع المجتمع المسلم في كل عصر والمجتمع النموذجي الأول الذي أنشأه الرسول الكريم محمد .

رواد التنمية

من جهتها قال الأمين العام المساعد للمجلس الأعلى للتخطيط والتنمية صبيحة الجاسم في ورقتها إن المستقبل يحمل في طياته من التحديات الكثير، والإصلاح الحقيقي لن يكتب له النجاح إلا إذا قاده رواد مخلصون يساعدهم جنود يعملون بصمت وبإخلاص، لا يسعون للكسب الإعلامي ولا المادي ولا السياسي، يدركون ما هي التنمية ويعملون من أجلها، ولكن أين هم رواد التنمية الذين يحملون فكراً إبداعياً خلاقاً يسعى لتكريس الهوية الوطنية، التي تعد أهم عناصر الأمن الوطني.

وذكرت الجاسم أن هناك مجموعة من الحقائق محل اتفاق، وهي أن الدين الإسلامي هو دين التسامح والانفتاح على الشعوب والحضارات، وأن المجتمع الكويتي بنى تاريخاً على الانفتاح رغم قسوة الحياة، وأن ما نتمتع به من اختراعات علمية أو وسائل اتصال أو كهرباء أو طب وغيره هو نتاج حضارة غربية وشعوب سادت بينها قيم نبيلة اهتمت بالعمل والإنتاج وجودته واحترمت العلماء، وهي شعوب آمنت بأهمية الإنسان فسادت فيها قيم الحرية والمساواة وحق الإنسان في التعبير.

وأشارت إلى تغيير الصورة السياسية والاقتصادية والاجتماعية تغيراً سريعاً بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، وحدوث تطورات

متسارعة وغير مسبوقة في الثورة التكنولوجية وثورة الاتصال والمعلومات.

وأفادت أن القضية التي تناولها المؤتمر مهمة، ودائماً ما تطرح في التقارير الدولية قضايا العولمة وتأثيرها على الهوية الوطنية، وتناقش من قبل المفكرين والفلاسفة، مبينة أنه في ضوء الانفتاح غير المسبوق في وسائل الاتصالات والإعلام هناك مخاطر لإذابة الهوية الوطنية.

وقالت الجاسم إنه يعيش في دولة الكويت أكثر من ١٢٠ جنسية والكويتيون يمثلون نحو ٣٣ في المئة من إجمالي السكان ويبلغ عدد الخدم ٤٦٨٣٦٠ ويمثلون حوالي ٣٤ في المئة من إجمالي قوة العمل، داعية إلى ضرورة معالجة هذا الخلل الذي نخشى منه على المجتمع أكثر من العولمة.

وأوضحت أننا لا نملك أمام العولمة إلا البحث في سبل احتواء آثارها السلبية، وانعكاساتها غير المرغوب فيها، مضيفة أن العولمة أثرت بوسائل الاتصال والإعلام وبالتالي في أسلوب حياة وسلوكيات الناس حيث اختفت الهويات وتعرضت للذوبان.

واستعرضت الجاسم سبل احتواء التأثير السلبي للعولمة على هوية الأسرة الكويتية منها دور الأب والأم في ترسيخ مبادئ وقيم الهوية الوطنية والانتماء، والتعليم الذي يسهم في بناء الهوية الوطنية، والإعلام والمجتمع المدني.

دور السلطتين التشريعية والتنفيذية

في الجلسة الثانية التي جاءت تحت عنوان (دور السلطات التشريعية والتنفيذية في المحافظة على هوية الأسرة الكويتية) دعا عضو مجلس الأمة النائب الدكتور عادل عبدالعزيز الصرعاوي إلى ضرورة تبني إصدار الوثيقة الوطنية للأسرة، وإصدار التشريعات الخاصة بإلزامية الفحص الطبي قبل الزواج إضافة إلى ضرورة دعم جهاز الاستشارات الأسرية التابع لوزارة العدل.

وطالب النائب الصرعاوي بإنشاء جهاز مركزي للمعلومات، وتدعيم المناهج التربوية بمفاهيم الثقافة الأسرية، ودعم مراكز البحث العلمي بقضايا الأسرة، وذكر أن التنمية البشرية تعد من أكبر التحديات التي تواجهها التنمية وأن الإنفاق عليها إنفاق استثماري نواجه به المستقبل، مضيفاً أن الأسرة هي أساس التنمية البشرية وبصلاحها صلاح المجتمع، داعياً الحكومة إلى أن تولي الاهتمام الكامل للأسرة سواء على مستوى خطط التنمية أو برامج عمل الحكومة في ظل عالمنا المتغير والتحديات الكبيرة التي تواجه الأسر والمجتمعات.

جاسم حاجيه: الفضائيات والإنترنت وغياب التوجيه الأسري سبب اضطراب شبابنا سلوكياً.

واستعرض الصرعاوي مفهوم الأسرة في الدستور الكويتي والتجارب المحلية والدولية في تعزيز دورها، مؤكداً ضرورة أن تكون هناك استراتيجية تشمل دراسات استكشافية للتعرف على المشكلات الأسرية والشبابية، ومتابعة الدراسات والتوصيات عن الجهات المعنية، والإشراف على الأنشطة والفعاليات واقتراح قانون مزاولة الإرشاد الأسري والعائلي ومتابعة وتعزيز دور الأسرة في المجتمع.

من جانبه ذكر النائب الدكتور فيصل المسلم أن التطور التكنولوجي في وسائل الاتصال والمواصلات ساهم في تقليص الفجوة بين الحضارات والثقافات، مشيراً إلى أن مصدر هذا التطور كان الغرب في الغالب والغرب الذي يحمل ثقافة مغايرة ومختلفة لا يقبل بها المجتمع العربي والإسلامي، وكان من الطبيعي أن تتأثر مجتمعاتنا الإسلامية بالمجتمع الغربي وأن يدخل الازدهار والتطور في جوانب حياتية مختلفة.

دور الإعلام

الوكيل المساعد لشؤون الأخبار والبرامج السياسية في وزارة الإعلام طارق مسعود العجمي أكد في ورقة بعنوان (دور الإعلام المحلي في تعزيز الهوية الوطنية) أن الإعلام المحلي لعب ولا يزال يلعب دورا مهما في تعزيز الهوية.

وأكد أن الإعلام عنصر مهم وفاعل وأساسي في نقل كل الجوانب المتعلقة بموضوع المؤتمر الذي يزداد أهمية إذا ما نظرنا إلى التطورات الإقليمية والعالمية المتسارعة، مشيراً إلى أن المنطقة تمر بتحديات لا تخفى على أحد بل أن الكويت مرت بجملة من التحديات الداخلية والخارجية التي أثبتت صلابة المجتمع الكويتي وتماسكه بشكل زاد من تمسكه بهويته الوطنية وافتخاره بها.

ولفت العجمي إلى الغزو العراقي وكيف أن الإعلام الكويتي ظل مستمراً خلال الغزو حتى من خارج البلاد في التأكيد على الهوية الوطنية للكويتيين التي لاقت إعجاباً إقليمياً وعالمياً، وكذلك التجربة الدقيقة الأخيرة في الانتقال السلس للسلطة واعتزاز الشعب الكويتي بحكامه وبلاده وما تتمتع به من ديموقراطية.

كما أشار إلى دور الصحافة واصفا إياه بالعاقل والرزين حيث ساهم في تعميق الهوية

الوطنية وتنوير الرأي العام بضرورة الحفاظ على وحدة المجتمع والتمسك بالأسرة الحاكمة وحماية الكويت من أية إشاعات مغرضة.

وقال العجمي: نحن في الإعلام حرصنا على مواكبة كافة التطورات والتحديات بروح وطنية من خلال تسليط الضوء على الديموقراطية الكويتية ومتانة المجتمع ككيان متآلف أثبت رقيه في كافة التحديات، مشيرا إلى أنه تم استشعار كافة التحديات التي مرت بها البلاد لتعميق الهوية الوطنية مؤكداً على مواكبة الطرح الإعلامي للتطورات العالمية

د. فيصل المسلم: الغرب مصدر التطور.. لكنه يحمل ثقافة مغايرة لا يقبل بها المجتمع العربي والإسلامي.

طارق العجمي: الإعلام لعب دوراً مهماً في تعزيز الهوية.. خصوصاً خلال الغزو العراقي الغاشم.

وعلى رأسها العولمة، والاستفادة من جوانبها الإيجابية مع التمسك بهويتنا الوطنية، والتأكيد على أنها نقطة انطلاق واتفاق مهمة للعمل والإبداع والإنجاز.

الأسرة والعولمة

من جهتهم أجمع المحاضرون في ندوة (دور الوالدين في وقاية النشء من آثار العولمة) التي أقيمت على هامش المؤتمر على أن غياب السلطة الضابطة عن الأسرة هو السبب في تأثير العولمة والانترنت على ثقافة وأخلاق الأبناء، مؤكدين أن عدم غرس قيم الإسلام هو سبب آخر لاقتباس التوجهات والأخلاق البعيدة عن مبادئ وتعاليم الدين الإسلامي، التي تحث على التمسك بالقيم والأخلاق الحسنة والصراحة والعمل واحترام الآخرين.

وشارك في الندوة الأستاذة في قسم علم النفس التربوي في كلية التربية دكتورة نورية الخرافي، والاستشاري النفسي الدكتور جاسم حاجية، والأستاذ في كلية التربية الأساسية الدكتور محمد الثويني.

وأشارت الدكتورة نورية الخرافي إلى نتائج الدراسة التي أعدتها الإدارة العامة للتعليم في السعودية حول مقاهي الانترنت وأثرها على الطلاب، موضحة أنها أظهرت أن أكثر فئات الطلاب التي تزور المواقع الترفيهية هي ممن تتراوح أعمارهم ما بين ١٥-٢٠ عاما، وأن الهدف الأساسي من استخدامهم للإنترنت هو التسلية أما من استخدمه من أجل الأبحاث فنسبتهم لا تتعدى ٧ في المئة.

وقالت إن هناك دراسة على عينة من شباب الخليج العربي أظهرت أن هناك ٦٣ في المئة من الطلاب يتقنون استخدام الانترنت، وترتفع نسبة استخدام الطلاب له من غرفهم الخاصة في كل من الإمارات العربية المتحدة والكويت إلى ٤٤ في المئة، وتنخفض لدى طلاب البحرين إلى ٢٤ في المئة، والمملكة العربية السعودية إلى ٣٠ في المئة، وقطر إلى ٣٥ في المئة.

وأضافت: «أثبتت الدراسة أن أكثر الأسر اهتماما بتوجيه أولادها هي الأسر العمانية بنسبة ٧٨ في المئة، والقطرية ٧٢، والإماراتية ٦٨، في حين قلت اهتمامات الأسرة السعودية إلى ٤٠ في المئة، وحلت الأسرة الكويتية في المرتبة الأخيرة».

وشددت على أهمية توجيه الأبناء ومتابعتهم مشيرة إلى أهمية الحوار الإيجابي الذي يغذي العقل والروح في عصر تقلصت فيه المسافات وكثرت فيه الإغراءات التي تقدمها تكنولوجيا العولمة.

ورأت الخرافي أن أبناء اليوم في أمس الحاجة إلى مناعة فكرية وعقلية وعلمية لكي يتمكنوا من مجابهة تجار الرذيلة التي تقدم عبر الإنترنت والفضائيات، وهذا لن يتحقق إلا بتربية الأبناء على تعاليم الدين الإسلامي، لأن خطورة العولمة على النشء تأتي من تدني التربية التي تضعف الوازع الديني أما التربية الصالحة فإنها تؤدي إلى حصانة على مدار الساعة.

وأفادت الخرافي أن تربية الأبناء تتطلب الإتقان الذي يعتمد على إيمان الوالدين بمسؤوليتهما تجاه مستقبل الأطفال، إضافة إلى فهم معنى التربية من خلال الاستمرار في ملاحظة تصرفات الأبناء وغرس المفاهيم الدينية والتربوية، ومنحهم الثقة بإشراكهم في معرفة ميزانية الأسرة والحدود المالية لها.

وأشارت إلى أهمية الاعتناء بحاجة الطفل النفسية، وإشعاره باعتدال بأنه موضع اهتمام والديه إضافة إلى تعريفه بحقوقه وواجباته تجاه الأسرة والعقاب الذي سيناله إذا أخل

بقواعد وضوابط الأسرة، مشيرة إلى أنه يجب تحديد مواعيد لاستعمال الانترنت مع وضع الأجهزة في مكان واضح للجميع.

مشددة على أهمية لغة الحوار مع الأبناء والبعد عن العنف، مؤكدة أن على الوالدين توثيق العلاقات الإيجابية بينهم لانعكاس هذه العلاقة على معتقدات الأطفال المستقبلية وسلوكياتهم.

مفارقات الأجيال

من جانب آخر عرض الدكتور جاسم حاجية المفارقات بين الأجيال السابقة والحالية، مشيرا إلى أن السابقة كانت تتمتع بوجود السلطة الضابطة، أي الأسرة ذات القيم والأخلاق العالية، أما الجيل الحالي فهو يتصف باتباع السلوك التمردي وإعلان العصيان والحرص على فعل ما يريده من دون النظر إلى مصلحة الأسرة، موضحاً أن سبب تمرد الأبناء يرجع إلى اقتباس الثقافات الغربية عبر الأفلام والأنترنت والأصدقاء والفضائيات مع غياب توجيه الأسرة.

وشدد على ضرورة حماية الأبناء من الاضطراب السلوكي والتمادي فيه منذ الصغر، من خلال وجود السلطة الضابطة الناتجة عن تعاون الوالدين في وضع قوانين الأسرة ومتابعتها باستمرار.

مشيرا إلى أن كسر قوانين الأسرة يساعد على هدم هذه السلطة، وعلى الوالدين أن يمثلا قدوة صالحة للأبناء وأن يكون قرارهما موحداً، ونبه حاجية إلى أن «إدمان الأبناء على الكمبيوتر لا يقل خطرا عن إدمان أي شيء آخر مثل الخمر أو المخدرات»، مشددا على ضرورة الاستماع بكل اهتمام إلى رأي الأبناء ومشكلاتهم مباشرة وغير مباشرة والتعرف إلى أصدقائهم من خلال أسرهم خصوصا وأن هناك أسرا تتمتع بقيم مغايرة لأسرنا.

وذكر أن من الأهمية منح الأبناء الشعور بالأمان وفرص التواصل الجيد والإيجابي مع الوالدين، ومساعدة الطفل على إيجاد البدائل في اللعب لتمضية الوقت بما يفيده، مع تنمية مهاراته الشخصية في الأعمال الرياضية أو الفنية التي يريد ممارستها، داعياً إلى اللجوء إلى السلطة الضابطة للقضاء على عصيان الأبناء وتمردهم.

الأسر المبدعة

من جانبه، طالب الأستاذ في كلية التربية الأساسية الدكتور محمد الثويني الوالدين بـ «تكوين الأسرة المبدعة التي تتساوى مع عولمة نافعة»، مؤكداً على ضرورة تربية الأبناء على الاعتزاز بالإسلام والاقتداء بالنبي محمد ﷺ، مؤكداً أن الاعتزاز بالإسلام يعني ممارسة السلوك القويم الذي دعا إليه الإسلام من حيث المعاملة والتخاطب والتحلي بالأخلاق الحسنة واحترام الوالدين وحب الآخرين وعدم النفاق والكذب، مضيفاً: «أن فقدان اعتزاز الفرد بإسلامه هو السبب في التخلف والخطأ الذي يحدث الآن».

وطالب الثويني المواطن بأن يكون مسؤولاً ورقيبا على الآخرين، لافتاً إلى أن علينا تحديد المسار وتوضيح الرؤية والهدف المراد تحقيقه في الغد، والانتباه إلى ما يدور حولنا وعدم الاستسلام للثقافات الأخرى التي لا تتفق مع قيمنا الإسلامية،

وقال إن «٧٧ في المئة من المنحرفين والأحداث من أسر متكاملة فيها الأب والأم ولكنهم مغيبون».

وأشار: «إلى وجود ١١ نمطا من الأسر الكويتية فهناك المتسلط الذي يحرص على إصدار الأوامر فقط لا غير، وهذا النمط يشكل خطورة على شخصية الأبناء ويساعد على وجود التابع الفاقد للشخصية»، مبينا أن: «هناك نمطا متساهلا يساعد على وجود أسر لا تعرف معنى العيب، أما الأسرة التي تتبع نمط الإهمال والتسيب فلا يوجد فيها أي حساب أو تربية للأبناء بمعنى أنها تتبع الإدارة الفندقية مع توفير المأكل والمشرب».

وأوضح الدكتور الثويني أن الأسر التي تتبع النمط الانفعالي الذي يعتمد على الضرب والعنف في تربية الأبناء تساعد على التمرد واتباع سلوك العنف، مضيفاً أن ٢٢ في المئة من الأسر تتبع النمط المتنوع في تربية الأبناء، ما ساهم في فقدان الأبناء للقدوة.

نورية الخرافي: الأسرة الكويتية أقل الأسر الخليجية اهتماماً بتوجيه أفرادها.

د. محمد الثويني: ٧٧٪ من المنحرفين تربوا في أسر غاب عنها توجيه الوالدين رغم وجودهما.

دراسة مقارنة تبرز الدور الرائد لمكتب الشهيد

عبدالله بدران

أسر الشهداء في الكويت..
مظاهر الدعم ومؤشرات الاستقرار

نجح مكتب الشهيد في رفع نسبة الاستقرار الأسري عند أسر الشهداء بما يوازي تقريباً، الأسر العادية الأخرى.

أعلى نسب عدم الاستقرار لدى أسر الشهداء انحصرت في بند الخصائص الاقتصادية.. فما السبب؟

هل تشكل النسبة الخفيفة لعدم الاستقرار لدى أسر الشهداء حافزاً للتفكير الجدي في الحلول والعلاجات؟

الأسرة نواة المجتمع وعماد صلاحه.. حقيقة باتت من المسلمات في كل أصقاع المعمورة، فمثلما ينعكس تماسكها على المجتمع قوة واستقراراً، ينخر أي خلل فيها جسد المجتمع ككل، ذلك أنها المعنية - وبدعم من المجتمع - بتوفير كل احتياجات أفرادها، مادياً واجتماعياً وثقافياً وتربوياً، وتهاونها في مدهم بها ينعكس سلباً على استقرار الأسرة، وبالتالي المجتمع.

من هنا سعى علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا إلى دراسة الأسرة من جهة، والبحث في ما يمكن أن تقدمه المؤسسات، والمنظمات الاجتماعية والنفسية والتربوية والصحية، للأسرة من جهة أخرى، في سبيل الوصول إلى أسرة نموذجية تكون نواة مجتمع متقدم ومتحضر.

في هذا المضمار سنعرض لدراسة رائدة بعنوان (أسر الشهداء في الكويت) أعدها الدكتور يعقوب يوسف الكندري بالتعاون مع مكتب الشهيد التابع للديوان الأميري، وساعده عليها نخبة من الاختصاصيين الاجتماعيين أوضحوا فيها أنه عند الحديث عن الأسرة فإن هناك مجموعة من الصعوبات المنهجية، التي تواجه الباحثين والمهتمين بالقضايا والشؤون الأسرية والاجتماعية.

الضغوط المتزايدة أبرز ما يميز الأسرة في المجتمعات المعاصرة السائرة على وقع التحديث والتغيير المتسارع.

خلاصة : مهما تعددت مصادر دخل الأسرة يبقى دور الأب محورياً في التوجيه والتوازن وإدارة المنزل مالياً.

ومن أبرز الصعوبات التي تواجه دراسة الأسرة - حسب الدراسة التي بين أيدينا - هو الاعتقاد بأن موضوعها بحد ذاته يدور حول قضايا وأمور نعرفها ونعيشها، وأنه يعد موضوعا سهلاً وبسيطا، لكن الواضح أن الأسرة تحتاج إلى دراسة عميقة حتى نفهمها بصورة أفضل.

وذكرت الدراسة أن أبرز ما يميز الأسرة في المجتمعات الحديثة هو تعرضها لما يسمى بالضغوط الأسرية، والتي ترتبط بالعديد من الملامح الاجتماعية، فهناك مشكلات وضغوط يومية متزايدة نتيجة لظروف الحياة الاجتماعية المتغيرة والتحديث الذي أصاب المجتمعات المعاصرة.

ولقد لعبت عوامل التحديث دورا أساسياً في زيادة حدة هذه الضغوط، سيما عندما غلب على الأسر الميل نحو تفضيل العيش بما يسمى بالأسرة النواة، بدلا من الأسرة الممتدة، التي كانت تقدم دعما اجتماعيا كبيراً لأفراد الأسرة في وقت سابق.

وأفادت الدراسة أنه لعل أحد أبرز الأنماط الخاصة بالأسرة هي تلك التي تسمى بالأسرة أحادية الوالدين، فهذه الأسر غاب عنها أحد الأبوين نتيجة ظروف معينة، إما بالانفصال أو الوفاة، أو غيرهما من العوامل، وهي تعد نمطا من أنماط الأسر التي تنتشر في المجتمعات الإنسانية كافة، نتيجة لأي ظرف من الظروف التي تحدث داخل الأسرة، فالبناء الأسري يختلف باختلاف الأسرة ونمطها ويتأثر بالأوضاع المعيشية.

وتختلف أنماط الأسر أيضاً في المجتمع المحلي كغيره من المجتمعات، ومن أنماط هذه الأسر تلك التي يقدم لها مكتب الشهيد الدعم والرعاية الاجتماعية، ويقصد بذلك الرعاية التربوية والصحية والإسكانية والاستشارات القانونية، إضافة إلى الخدمات النفسية من خلال برامج المتابعة الميدانية لأسر الشهداء، وتحديد الاحتياجات الخاصة بهم وتقديم الإرشاد، والتوجه، ومشاركتهم اجتماعيا في الأفراح والمناسبات والأحزان.

ولا شك أن غياب أحد أفراد الأسرة، والذي غالباً ما يكون الأب المعيل، يترك أثرا سلبيا في بنائها، الأمر الذي يجعل من مهمة مكتب الشهيد توفير البيئة والرعاية الاجتماعية المناسبة، والتي تخلق من هذه الأسر أسرا

متكيفة مع أوضاعها الاجتماعية السائدة، لذا انصبت مسؤولية المكتب في تقديم الرعاية الاجتماعية لهم لتحقيق الوضع الأسري السوي والمستقر، وهدف المكتب من ذلك كله توفير قدر من الاستقرار الأسري لجميع الأسر المنضمة إليه، والتي فقدت معيلها أو أحد أفراد أسرتها.

هدف الدراسة وأهميتها

حاولت الدراسة الوقوف على قياس درجة الاستقرار الأسري لنمط أسري مهم في الحياة الاجتماعية، في المجتمعات المسلمة بشكل عام، والمجتمع المحلي بشكل خاص، والمتمثلة في أسر الشهداء، وذلك من خلال المقارنة بينهما في بعض الملامح الاجتماعية العامة وبين الأسر المحلية في المجتمع الكويتي.

كما سعت إلى الوقوف على بعض المؤشرات الخاصة بالاستقرار الأسري في المجتمع الكويتي بشكل عام، فحددت الخصائص العامة للأسرة الكويتية بصورة عامة، ولأسر الشهداء بصورة خاصة ومقارنة بعضها بعضاً.

وسلطت الدراسة الضوء على دور إحدى المؤسسات الاجتماعية في مجال الرعاية الاجتماعية والمتمثلة في مكتب الشهيد، ودور هذه المؤسسة في المجتمع المحلي، إضافة إلى سعيها لتقديم أداة مناسبة لقياس الاستقرار الأسري متناسبا مع الثقافة المحلية.

وتكمن أهمية الدراسة في جوانب عدة أهمها جانبان:

١- ندرة الدراسات الاجتماعية والأسرية الخاصة في مجال الاستقرار الأسري بصورة عامة، فالدراسات العربية والمحلية في هذا الجانب المهم في حياة الأسرة نادرة، إن لم تكن معدومة.

٢- تعتبر هذه الدراسة من الدراسات التي تحاول قياس أداء المؤسسة الاجتماعية عند تقديمها لخدماتها.

ومن المعروف بهذا الصدد أن قياس أداء المؤسسة الاجتماعية لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال البحث الاجتماعي والدراسة الحالية تحاول قياس مقدار ما يقدمه مكتب الشهيد من نظام الرعاية الاجتماعية لأسر الشهداء وذويهم والتي من الممكن أن تسهم في المساعدة على تقدم وتطوير أساليب العمل في مجال الرعاية الاجتماعية، ولا شك في أن التعرف إلى العناصر البيئية، المؤثرة بشكل واضح في درجة الاستقرار، يسهم في التدخل العلاجي والوقائي.

وقد شملت الدراسة عينة بحث تكونت من ربات الأسر الكويتية العادية وربات أسر الشهداء، وزعت عليها استمارات طالبتهن بالإجابة على عدد من الأسئلة، وذلك انطلاقاً من أن ربة المنزل هي الأكثر إدراكا وفهما لوضع المنزل واحتياجاته وقد راعت الدراسة إشراك مختلف ربات أسر الشهداء، الأرامل، المتزوجات، أو غير المتزوجات.

نتائج الدراسة

كشفت نتائج الدراسة عن أهمية دور الوالدين مجتمعين في تحقيق التوازن الاجتماعي العام داخل نطاق الأسرة، وفي خلق بيئة اجتماعية مناسبة يتكيف معها الأبناء، مشيرة إلى أن غياب أحدهما لأي سبب من الأسباب ينعكس سلباً على أداء الأسرة وتكيفها ومن ثم على استقرارها.

وعلى الرغم من ارتفاع معدلات الاستقرار الأسري بشكل عام - ولدى أسر الشهداء بشكل خاص - كما أوضحتها نتائج الدراسة - فإن نسبة عدم الاستقرار الخفيفة التي ظهرت في الدراسة قد تكون مبعثا للتفكير الجدي في طرح بعض الحلول والعلاجات، كون الأسرة نواة المجتمع وعماد صلاحه، وأي مس بكيانها ينعكس سلباً عليه، ولا شك أن المسؤولية تقع بصورة كبيرة على مؤسسات الدولة في تحقيق تكيف ملائم للوضع الأسري سيما تلك الأسر التي تعاني من عدم تكيف اجتماعي نتيجة لظروف طارئة تحدث وتؤثر عليها.

وقد كشفت الدراسة عن نجاح مكتب الشهيد إلى حد كبير في رفع نسبة الاستقرار لدى أسر الشهداء بما يوازي إلى حد ما - الأسر الأخرى، مع وجود بعض الفروق التي تظهر بصورة واضحة كنتيجة طبيعية لفقدان أحد معيلي الأسرة، كعدم الاستقرار الاجتماعي، وتأثر الوضع التربوي للأبناء.

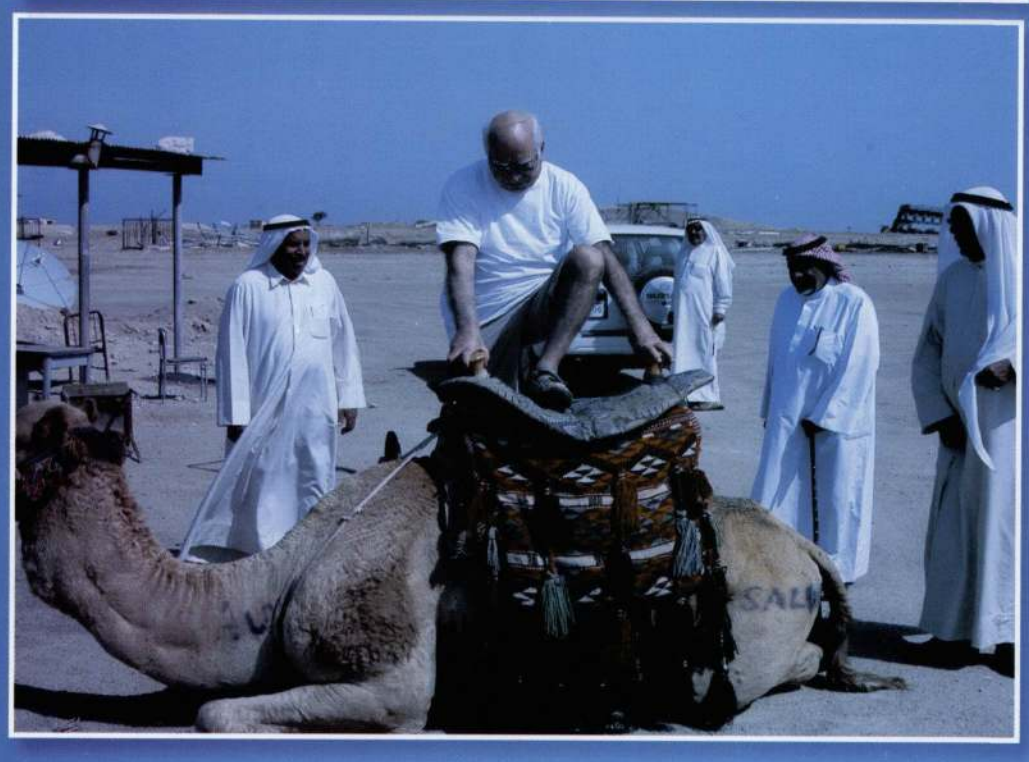

وفي الوقت الذي أظهرت فيه نتائج الدراسة عدم وجود فروق في الخصائص الاجتماعية والنفسية للأسرة، وهو ما يعني تكيفاً في هذه المحاور بين أسر الشهداء والأسر الأخرى مع الظروف البيئية المحيطة، فقد أظهرت أمور أخرى ترتبط بالقضايا المادية، مثل الخصائص الاقتصادية والصحية والمعيشية والسكنية، وجود نوع من الاختلاف، وذلك بسبب فقدان المعيل الرئيسي للأسرة، إضافة إلى تأثير الأسرة بالخصائص التربوية.

ولعل أحد المؤشرات الدالة على ارتفاع درجة الاستقرار الأسري وفقا للمقياس المعتمد للدراسة قد يعكس تفسير ذلك إلى ارتباطه بالوضع العام للاقتصاد بصورة عامة في الكويت، إذ تعد الكويت من أوائل دول العالم في ارتفاع معدلات مستوى المعيشة، فالعامل الاقتصادي يعطي مؤشرا مهماً ومؤثراً للمتغيرات والخصائص الاجتماعية العامة الأخرى.

التأثير الاقتصادي

ولعل من أبرز ما خلصت إليه الدراسة هو التأثير الاقتصادي على الوضع الأسري، إذ أوضحت نتائجها أن أعلى نسب عدم الاستقرار الأسري عند أسر الشهداء تقع في بند الخصائص الاقتصادية، إذ بلغت ١١,٨ في المئة، وهو ما قاد إلى الاستنتاج بأنه مهما تعددت مصادر الدخل الأخرى التي تضاف إلى الأسرة فإن دور الأب في عمل التوازنات المالية الداخلية، والمحافظة على أوجه الصرف داخل الأسرة وإدارتها يبقى دورا مهما ومحورياً في فكر الأسرة الاقتصادية وتوجيهه.

ويبقى أن هذه الدراسة قدمت مقارنة بين أسر الشهداء والأسر الأخرى، كما قدمت فرصة مناسبة لمتابعة دور مكتب الشهيد في تقديم الرعاية المناسبة، والتي من خلالها تحقق قدراً مناسباً من الاستقرار الأسري.

علي حسين

من قال: (إن الحيطان دفاتر المجانين)؟!

الجدران .. جريدة التاريخ

لعبت شعارات الجدران أيام الاحتلال دوراً تحريضياً كبيراً أغاظ الغزاة فأصدروا الأوامر بهدم أي بيت عليه شعار .. أو إعدام صاحبه.

السجن ٦ أشهر عقوبة إسرائيل لكل فلسطيني كان يثبت تورطه بالكتابة على الجدران خلال الانتفاضة الأولى.

الفنان شاكر آل سعيد: الجملة أصلها كلمة، والكلمة أصلها حرف، والحرف أساسه نقطة لابعد لها ولا منتهى.

رئيس بلدية شيكاغو تصدى لإزالة كل الكتابة والرسوم الحائطية، ورئيس بلدية نيويورك شكل فريقاً خاصاً لقمع كل من يكتب على الجدران.

بعد سقوط جدار برلين .. تحول إلى متحف يضم كل أشكال فن الرسم على الجدران.

ترجع ظاهرة الكتابة أو النقش على الجدران إلى سنين موغلة في القدم، تمتد إلى ما قبل اكتشاف الأبجدية، حيث اعتاد إنسان العصر الحجري رسم مغامراته على جدران الكهوف، ثم تطور الأمر بعد اكتشاف الأبجدية إلى الكتابة على الجدران، وهو فعل مارسته كل الشعوب قديماً وحديثاً، وارتبط ازدهاره وذيوعه بتسخيره كأداة نضالية، ضد الاحتلال والظلم وقهر الشعوب، وأشهر الجدران في هذا المجال جدار برلين، والجدران الفلسطينية أيام الانتفاضة، والجدران الكويتية أيام الغزو العراقي الغاشم، وغيرها من الجدران في الدول العربية والأجنبية التي عانت من ويلات الاستعمار.

مازلت أذكر كتاباتي وأقراني الصغار التي كنا نسطرها فيما مضى على جدران البيوت وأسوار (الفرجان) والمدارس، والتي كانت تعبر عن أحلامنا وآلامنا الصغيرة، حيث كنا نكتب عما نحب ونكره، وما يليق ومالا يليق، وقد تفاوتت تعابيرنا العفوية التي كنا نسطر بين التنابز بالألقاب (حمود العوي، سبجوه الحولة، سموي العبد) والشتائم البذيئة انتقاماً لنفس أهينت أو كرامة ضاعت.

إلا أن كتاباتنا لم تكن تخلو من عبارات التمجيد والإعجاب والحب الكبير، حيث نالت أسماء النوادي الرياضية واللاعبين المشهورين قسطا وافراً من المديح والتمجيد: «عاش نادي القادسية»، «عرباوي وبس»، «بوحمود المرعب»، «فيصل الملك»، «الفارس الأسمر»، كما كان لعبارات الحب مساحة أخرى من التعبير العفوي الصادق فكثيرا مارسمنا صورة القلب المخترق بالسهم النافذ وإشارات كبيرة لحروف الأسماء.

كتبنا بالفحم والطباشير المسروق من حصص

ومنبر الحرية الصامد

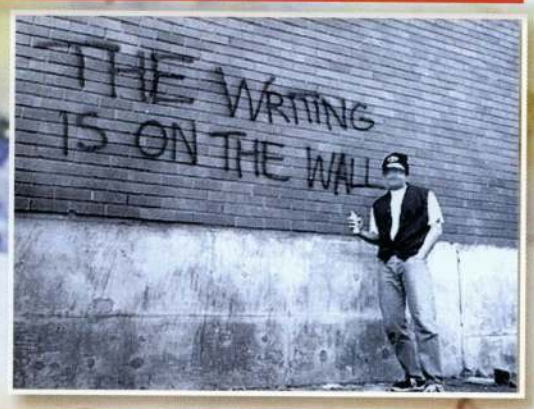

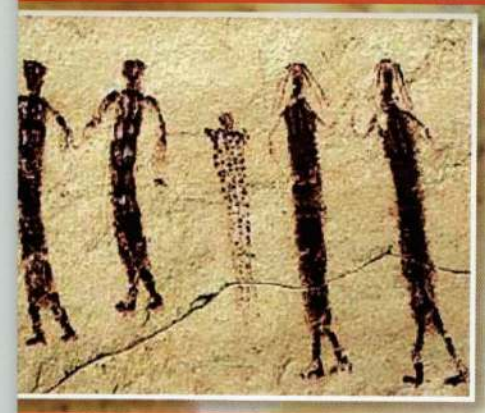

المدارس، أدوات رخيصة لا تكلف شيئاً، لكن كان أثرها كبيراً إذ لم تكن الجدران وحدها ساحة تعبير، فسطوح المنازل أيضاً كانت ميداناً آخر للرسم والكتابة رغم ممانعة الأهل فالخطوط الملونة كانت ترسم الشخصيات الكارتونية المحببة «ميكي ماوس» و«الباباي»، أو كتابات لآيات الحق «قل هو الله أحد» وغيرها.

بعد أن كبرنا تجاوزنا هذه الرسوم والكتابات، إلا أن الأمر عاد وبشكل مفاجئ في أحد أيام المرحلة الثانوية، فدون سابق إنذار دخلنا يوماً الصفوف لنجد عبارات الشتيمة من العيار الثقيل وقد كتبت بحق الهيئة التدريسية وناظر الثانوية .. لم تصدق عيناي ما رأت فالعبارات جريئة وحادة جداً، امتدت إلى أغلب الفصول، هزت الهيئة التدريسية بكاملها، فاستنفرت قواها غاضبة ومتوعدة بمعرفة الفاعل أو الزمرة المستهترة ومعاقبتها، إلى درجة أنها وزعت أوراقا بيضاء وطلبت من كل طالب الكتابة بغية مقارنة الخطوط والوصول للفاعل، وهو ما رأيناه أمراً ساذجاً ضحك عليه الجميع، فالخط سيختلف حتماً، لأن درجة تحكم اليد بالقلم تختلف عن تحكمها بعلبة «صبغ الرش».

البعد الواحد

ولم أكن أقيم كبير وزن لهذه الظاهرة حتى التقيت عام ١٩٨٧ الفنان العراقي شاكر حسن آل سعيد صاحب مدرسة (البعد الواحد) الذي ذاع صيته حتى بلغ آفاق الجامعات الأجنبية التي باتت تدرس فكره وتحلل فنه، وكانت انطلاقة آل سعيد بدأت خلال المعرض الذي أقيم في المتحف الوطني ببغداد عام ١٩٧١م، وشارك فيه عدد من الفنانين الرواد متخذين من الحرف الكتابي قيمة تشكيلية كعنصر أولي ونهائي للتعبير عن توجهاتهم، رغم تباينها، حيث جاء في بيان المعرض: (إن ممارسة الحرف، وهو وسيلة لغوية بحتة في الفن التشكيلي، تبدأ في الأصل عند الفنان الحديث كمناورة أدبية لتكوين مناخ جديد زاخر بإمكانيات رمزية وزخرفية معا .. وهو ما يضفي على الفن بعداً جديداً لم يكن قد ألم به إلا منذ وقت قريب).

التقيت بالفنان آل سعيد -رحمه الله- في حوار صحفي فسألته عن الكثير، وأجابني باختصار عن فلسفته الصوفية: «الجملة أصلها كلمة، والكلمة أصلها حرف، والحرف أساسه نقطة لا بعد لها ولا منتهى .. فجداريات المدن عنوان ثورة ورسالة لنا».

تأملت أعماله فتهت في الرموز الكثيرة التي لم أفهمها جيداً، ولكنني استوعبت مغزاها حين همست في يوماً فنانة خليجية اقتربت من هذا الفن: «الفنان شاكر كان ثورياً ومعارضاً في فنه لكل أنواع الاستبداد الذي عايشه..».

عدت إلى الكويت مفعماً بتأثير مدرسة آل سعيد، وقادتني الحماسة إلى تجريبها في لوحتين، الأولى تضمنت جدارا هالكا كتبت عليه «أفيقوا» كرسالة من كاتبها إلى الأمة، واللوحة الثانية كانت لجدار بيت طيني امتدت منه محولات وأسلاك الكهرباء القديمة وكتب عليه «للتثمين».

بيعت اللوحة في المعرض الأول للشباب الذي أقامه المجلس الوطني للثقافة والفنون عام ١٩٨٩م ففرحت كثيراً وكنت سعيداً بالعمل والتجربة، شعرت أن الرسالة وصلت وأن العمل الفني بحاجة إلى المزيد، بغية توثيق الكتابات الحائطية، التي كنا نشاهدها يومياً عبر التلفاز أيام الانتفاضة الأولى، فشرعت بأولها «القدس لنا»، إلا أن الأمر توقف عند الساعة الثانية فجراً من يوم الثاني من أغسطس عام ١٩٩٠م حين انتقلت الحالة الفلسطينية إلى الكويت (المحتلة) فشاهدت بالعين المجردة دبابات عراقية تغزو الكويت من أجل تحرير فلسطين؟

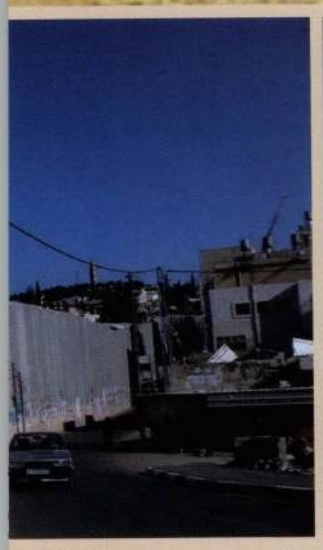

جدران الكويت ... شعارات تحريضية

لم أصدق الحدث، إلا أنني رصدت وشاهدت جموع أبناء الكويت تهب غاضبة في انتفاضة شعبية ترفض منذ اليوم الأول مبدأ الاحتلال العراقي، وزيف الحكومة المؤقتة، فظهرت الشعارات على الجدران والأسوار: «لا للحكومة المؤقتة»، «نعم لحكومة الكويت الشرعية»، «الموت لهدام العراق»، و«عاش الشيخ جابر»، «لا لعلاء الخائن»، «نعم لجابر وسعد»، «نعم لآل الصباح»، «الموت للغازي المعتدي»، «لا للاحتلال».

نجحت الشعارات المكتوبة في لعب الدور التحريضي المطلوب فاغتاظ جنود الطاغية كما يذكر الدكتور محمد الدمخي مؤلف كتاب (كويتي تحت الاحتلال): «فألقوا القبض على كل من كتب شعاراً وعاقبوه إما بهدم بيته أو حرقه أو بإعدام صاحب المنزل».

ونشر الدمخي وثائق هامة موجهة من مدير عام مكتب أمانة سر القطر (محمد زمام عبدالرزاق) إلى المجرم علي حسن المجيد بتاريخ ١٩٩٠/٩/٩م تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك، تمسك أهل الكويت بقائدهم وأميرهم سمو الشيخ جابر الأحمد الصباح - رحمه الله - وتوضح الوثيقة ملاحظة موقعة من المجرم (سبعاوي ابراهيم) مدير جهاز المخابرات تأمر بهدم أو حرق كل منزل عليه شعار للكويت أو صورة لسمو الأمير.

ويجدر بالذكر أن سور مبنى السفارة الأميركية في الكويت غص بعد تحرير الكويت ١٩٩١م بشعارات وعبارات الشكر والعرفان لأميركا وبوش الأب، وقد عمدت السفارة إلى حفظ جزء من تلك الشعارات بتغطيته بمادة النايلون، حماية من عوامل الطقس والتعرية، وتقديراً للكتابة الحائطية، التي لم تشرع أي جهة رسمية أو أهلية حتى الآن في رصدها أو تدوينها كمرحلة نضالية لأهل الكويت.

الانتفاضة وصحافة الحائط

هذا في الوقت الذي وثقت فيه التجربة الجزائرية أيام الاحتلال الفرنسي كما وثقت التجربة الفلسطينية ضد واقع الاحتلال الإسرائيلي من خلال بحث قيم للباحثة دنيا الأمل اسماعيل عنوانه «صحافة الجدران/ جريدة الشارع» استعرضت فيه الكتابة الحائطية بدءاً من الانتفاضة الأولى إلى عهد اتفاقيات السلام، فتذكر (بتصرف): «في الانتفاضة الأولى لعبت الكتابة على الجدران أو صحافة الحائط دوراً تحريضياً وتعبوياً في العمل النضالي الشعبي، خاصة في ظل غياب وسائل إعلام وطنية تعبر عن الوجع الفلسطيني، وكانت عينا الرقيب العسكري الإسرائيلي بالمرصاد لمن تسول له نفسه القيام بهذا الفعل ليجد نفسه أسيراً تهمته الكتابة على الجدران التي لا تقل عقوبتها عن ستة أشهر سجن.

وكانت الشعارات التي تكتب أيام الانتفاضة الأولى ذات طابع سياسي نضالي في مجملها.. أما اليوم فالوضع مختلف إذ تنوعت الشعارات بين السياسي والاجتماعي والتجاري ودخلت لغة التهديد والتشهير إلى مضامين الشعارات. كما دخلت الحسابات الشخصية وصراعات المصالح إلى حلبة الصراع على الحوائط.

وتضيف: «تأثرت الجمالية واللغة في صحافة الجدران، ففي الانتفاضة الأولى كان القلق والخوف من الاعتقال أو التعرض لنيران الجيش الإسرائيلي عاملين حاسمين فيما يتعلق بالشكل الجمالي لهذه الصحافة، كما كان اللون الأسود هو الغالب على هذه الكتابات مع بعض التنويع القليل في الألوان الأخرى كاستخدام ألوان العلم الفلسطيني أو استخدام كل فصيل اللون الخاص به. وأيضاً جرت التضحية باللغة بشكل مرير إذ يظهر الكثير من «الأخطاء الإملائية والنحوية في هذه الكتابات».

وتشير الباحثة إلى جدار الفصل العنصري الذي شرعت إسرائيل في بنائه منذ عام ٢٠٠٢ تحت مسمى «السياج الأمني» بهدف إنقاذ حياة المواطنين الإسرائيليين من الإرهاب الفلسطيني، كما تزعم، فتقول إن هذا الجدار «سيكون مسرحاً للفن الساخط من الاحتلال وظلمه وسيكون عنوانا للريشة الثائرة والفن المقاوم كما كان جدار سور برلين عنوان الغضب من مواطني ألمانيا الشرقية والغربية حتى سقط بهدمه، وبقى من آثاره متحف لفن الرسم على الجدران أو ما يعرف اليوم بفن «الغرافيتي».

المصدر ومسيرة النمو

تذكر المصادر أن فن الـ «غرافيتي» فن قديم مارسه الإنسان منذ العصر الحجري قبل

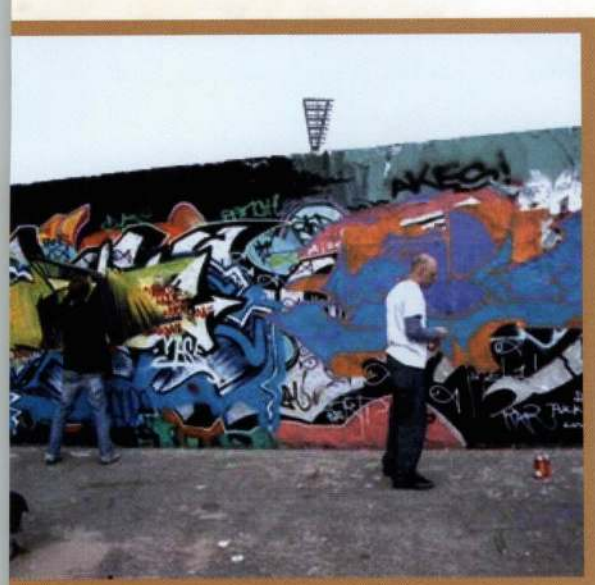

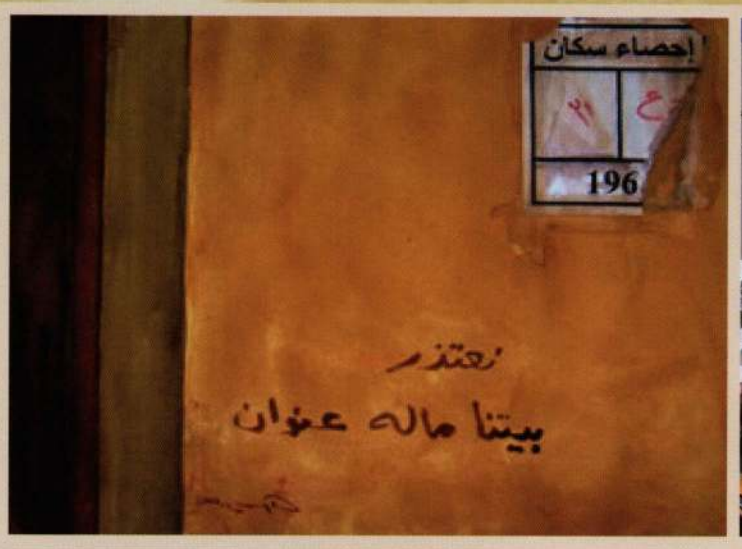

٢٠٠٠٠ عام، حين قام برسم ونقش صور مغامراته في صيد الحيوانات على جدران الكهوف، خاصة في أفريقيا واسبانيا وفرنسا، وتقول المصادر إن مصطلح Graffiti اشتق من المصطلح الإيطالي Graffiatto، أي الخدش على الحيطان، قبل استخدام الأصباغ كمادة تعبير فقد استعملت «الخدوش» أو النقوش لاحقا كأداة تعبير وتوثيق للعديد من الأحداث في الحضارات القديمة قبل اختراع الفينيقيين أول أبجدية كتابة في العالم.

وقد برز فن الكتابة على الجدران في القرن العشرين، وخصوصا أثناء الحرب العالمية الثانية حيث برز كحالة تعبير في المناطق ذات الواقع الدراماتيكي، كمقاومة مستعمر أو تبني فكر مغاير للسلطة الحاكمة، فانتشار الشعارات الشيوعية والنازية المناوئة للرأسمالية كانت أحد أوجه هذا الفن أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية باعتبار أن الجدار أصبح لغة وساحة ثورة ونموذجاً رائعاً للتعبير والتحريض، إلا أن الأمر تعزز كلغة فنية حين اخترعت مادة الصباغة «الرش» أو (البويه) فظهرت الرسومات المعبرة على حوائط المدن وأنفاق المترو والقطارات.

وتشير أستاذة الأدب الألماني في جامعة برلين الدكتورة اولريكي هوك بأن «الفن الغرافيتي فن معاصر انتشر خلال الستينات والسبعينات على جدران مباني الجامعات، وتطورت هذه الظاهرة حتى شملت العربات والحافلات والقطارات حيث استخدمت الأصباغ في كتابة شعارات عليها تعبر عن مفاهيم سياسية واجتماعية».

أما الدراسات النفسية فعزت سلوك الكتابة على الجدران إلى أسباب عدة أهمها أنه يجسد الرغبة الغريزية للكتابة وتفريغ الشحنات المكبوتة، يمارسه الهواة والمحترفون، وعادة ما يكون في الأحياء الفقيرة، ففي الولايات المتحدة الأميركية شاع فن «الغرافيتي» في الأحياء ذات الغالبية السوداء.

وتؤكد دوائر الأمن والشرطة المتتبعة لهذا الفن بأن دافع «الغرافتيين» هو ترك البصمات الشخصية هنا وهناك كنوع من التحدي لسلطة الأمن، وتذكر أن هناك عصابات من «الغرافتيين» يمتلك كل منها حباً معيناً لترك آثاره الغرافيتية عليه وأن لكل منها أشكالا معينة من الرسم اكتسبت معنى خاصاً منذ أن تحولت عصابات الغرافيتيين إلى الاتجار بالمخدرات.

وقد تلطخ فن «الغرافيتي» في السنوات الأخيرة بسمعة سيئة، وخرج عن دوره النضالي أو التعبيري حين أدت الضغوط الاجتماعية والقانونية إلى الدعوة للتخلص منه ومعاقبة مرتكبيه على اعتبار أنه يخرب ويشوه الممتلكات العامة والخاصة ويعتبره بعض الناس مصدر إزعاج غير مرغوب فيه، وتجاوز لحق الملكية، ما دفع بالبلديات العالمية إلى محاربته وتغليظ العقوبة على فاعليه، فقد أصدر رئيس بلدية شيكاغو أوامره بفتح مكتب البلدية على مدار ٢٤ ساعة لتلقي أي شكوى بخصوص ذلك، مشيراً إلى أن مكتبه على استعداد لاستخدام المذيبات لمحو كل تنويعات الرسومات الحائطية.

في حين بادر رئيس بلدية نيويورك رودلف جولياني إلى تشكيل فريق خاص مهمته قمع مرتكبي هذا الفن المزعج، وأصدر قراراً بمنع بيع صباغ الرش لمن هم دون الثامنة عشرة.

إلى ذلك أصدرت دولة سنغافورة قانوناً يعاقب بالسجن ودفع غرامة (٢,٢٣٣) دولار أميركي والضرب بالخيزرانة لمن تسول له نفسه الكتابة والرسم على الجدران العامة والخاصة، وفي بريطانيا صادق البرلمان على قانون يجرم تلك الرسومات باعتبارها ليست فنا بل جريمة!

وبالرغم من هذا كله لاقى الفن الغرافيتي من بعض البلديات كل احترام وتقدير حيث تمت دعوة محبيه إلى المشاركة بالمهرجانات التشكيلية والرسم على جداريات المدن العتيقة والجسور الكبيرة، ونظمت لهم المسابقات والجوائز العديدة، حتى غدا لمهرجاناتهم لوناً مميزاً جميلاً وقف له الجميع إعجابا وتقديراً.

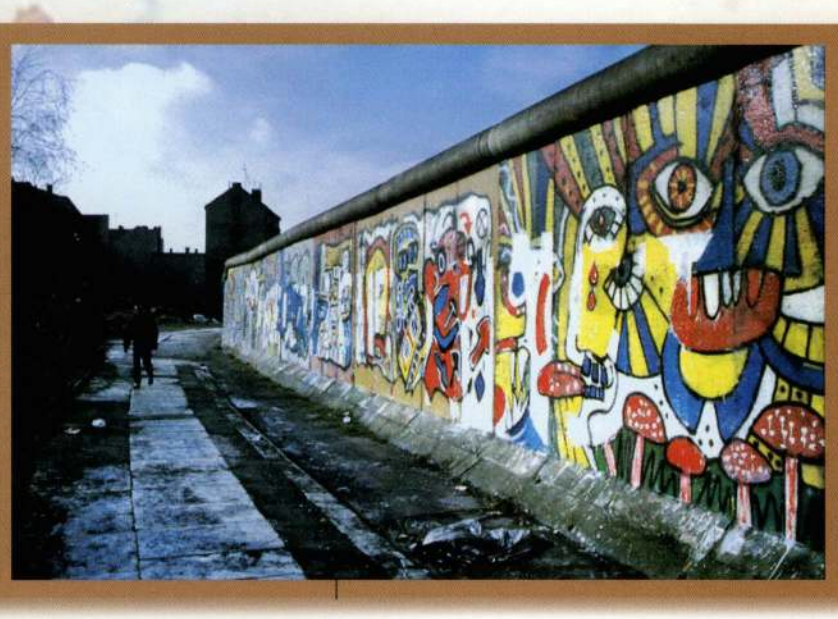

سمات الهـ

محمد الأسعد

فن المجوهرات

قلادة ذهبية مطعمة بالأحجار الكريمة

تميمة من الذهب والياقوت

أساور مصنوعة من رقائق ذهبية، أسلوب كوندان الفني، ومطعمة بالياقوت والماس.

قرطان من الذهب مطعمان بالماس والياقوت

كنوز من عصر المغول

قبل سنوات قليلة طاف في عدة أنحاء من المعمورة معرض حمل تسمية «كنوز الدنيا: فنون مجوهرات الهند في عصر المغول»، وتضمن المعرض ما يقارب ٣٠٠ تحفة فنية، هي جزء من مجموعة الصباح، إحدى أكثر مجموعات الفن الإسلامي أهمية في العالم التي ترعاها دار الآثار الإسلامية في الكويت.

بدأت الجولة بالمتحف البريطاني ثم انتقلت المجموعة إلى أربعة متاحف في الولايات المتحدة الأمريكية، وبعدها مرت بمتاحف استرالية، وفي كل مكان عرضت فيه هذه المقتنيات، بدأ وكأن رواد المتاحف يتعرفون لأول مرة على جانب من جوانب الحضارة الإسلامية، فلما تسلطت عليه الأضواء، ونعني به الفن الإسلامي الذي ساهمت فيه الهند، وبلغ ذروته في عصر حكام المغول المسلمين الذي استمر هناك طيلة ثلاثة قرون تقريباً (١٥٢٦ - ١٨٥٧).

من المؤكد أن هذه الصناعة الفنية باستخدام المعادن والأحجار الكريمة كانت مثار إعجاب واندهاش الأوساط المعنية بالفنون، ولكن ما قام به هذا

خنجر وغمده

صندوق ذهبي مطعم بمختلف أنواع الأحجار الكريمة

صندوق من الجزع

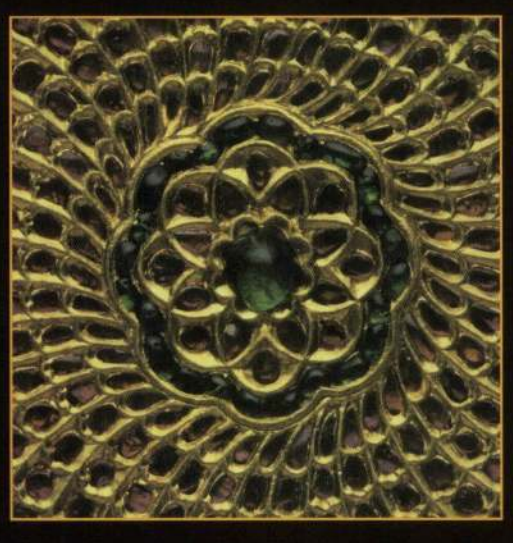

صحن من الذهب مطعم بالزمرد والياقوت

مخطوطة قرآنية منمنمة بحبر أسود على ورق. مذهبة، محفوظة في حافظة مطعمة بالياقوت والزمرد.

المعرض، أو ما تقوم مجموعة الفن الإسلامي في دار الآثار الكويتية بعامة، يتجاوز غاية الإعجاب والإدهاش إلى ما هو أكثر أهمية ونعني به نشر الوعي بالحضارة الإسلامية، أو رواية فصل من فصول القصة الإسلامية كما تعرضها فنونها.

اللافت للنظر ليس الطابع الموحد الذي منحته فنون هذه الحضارة لكل ما لمسته فقط، وليس روحها التي تميزت بالشمول وتغلغلت في كل جوانب الحياة فقط، بل ذلك الاستنهاض الذي قامت به لقدرات وموروثات الشعوب التي امتدت إليها هذه الحضارة، ففي الهند، خلال المئة عام

قدح من البلور، مطعم بالذهب والياقوت والزمرد

قدح وصحن، مطعمان ومنقوشان

سلطانية من الصخر البلوري مكسوة بالفضة المذهبة

صندوق صغير من الذهب مطعم بالياقوت

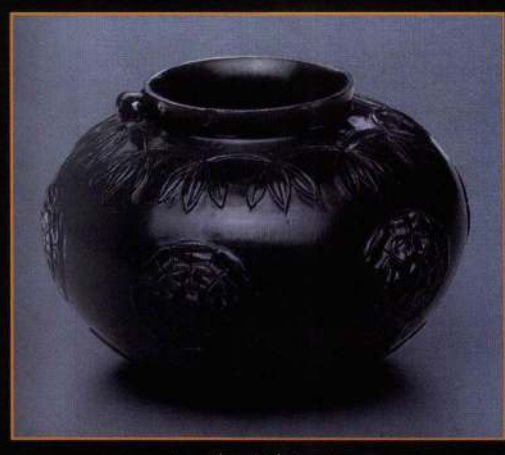

صحن من البلور الصخري

آيات قرآنية منقوشة بالماس على زمردة

الآن بالقول إن الإنتاج الفني الهندي في ذلك العهد شكل فرعاً من فروع الفن الإسلامي فريداً من نوعه، منح الهند طابعاً تعبيرياً في فنون التشكيل تواصل حتى اليوم.

في هذه المجموعة، التي استمدت اسمها من تعبير ورد في رسالة لمبعوث بريطاني إلى الهند في العام ١٦١٦ يصف فيه كنوز الامبراطور المغولي جاهانجير.. «لا يتوقف فن صناعة، المجوهرات عند حدود أدوات الزينة الشخصية من خواتم وأقراط وأساور وقلائد، بل يمتد إلى أدوات الطعام والشراب، وحاويات الكتب، وأسلحة الحرب، وكأن الفنان المسلم كان يستكشف الأحاسيس اللونية والتشكيلية في كل شيء يقع عليه بصره أو تتناوله يده، (١٥٥٦-١٦٥٧) التي شهدت أوج عهد المغول المسلمين، تمازجت المهارات المحلية الموروثة مع الروح الإسلامية ووصلت ذروتها، وقدمت تركيباً على تربة القارة الهندية، لا نظير له في أي مكان آخر في العالم. ومنح هذا التمازج والتركيب مع أصالة وقدرات الفنانين الإبداعية هناك آفاقاً أوسع وأنتج أساليب جديدة.

هذا الاستنهاض هو ما يمكن أن يعبر عنه

من أدوات الاستعمال اليومي إلى المباني، إلى صفحات الكتب، وصولاً إلى سيوف الأباطرة، وأرديتهم.

هل هو التعبير عن طابع هوية

إن نظرة واسعة وشاملة إلي مراكز الإنتاج والانتشار في مختلف أرجاء العالم الإسلامي والواسع من هضبة الدكن في القارة الهندية وصولاً إلى سهول الأندلس في شبه الجزيرة الايبرية، يمكن أن تجيب بالإيجاب، إذ من الصعب أن لا تلاحظ حتى النظرة العابرة، سمات موحدة رغم التنوع الهائل. لقد أطلقت على هذا الواقع الفني تسمية، الوحدة في التنوع، أو الوحدة في الاختلاف، ولم تتجاوز الصواب.

تمائم مدلاة متنوعة

أقراط

قلادة من الزمرد

حسين الجرادي

الأب الروحي لقوانين شؤون القصّر في الكويت

المستشار سالم البهنساوي
و٥٧ عاماً في محراب الدعوة

- لقي ربه بينما كان يبلغ دعوة الله إلى الناس في أذربيجان خلال مؤتمر عن الوسطية في الإسلام، وكأن روحه الطاهرة أبت إلا أن تلقى بارئها وهي تبلغ رسالة الوسطية السمحة.
- منذ صباه التحق بدعوة الإمام الشهيد الشيخ حسن البنا، وعرف كرمز من رموز الحركة الطلابية في منتصف القرن الماضي.
- اعتقل عام ١٩٥٤ بسبب الاعتراض على تنحية الرئيس محمد نجيب، كما اعتقل عام ١٩٦٥ بتهمة الانضمام لتنظيم سيد قطب ولم يفرج عنه إلا عام ١٩٧١.
- تحدى ظلمة السجن، وظلم السجانين، وحاجج أتباع جماعة التكفير والهجرة وهو في السجن، فأسهم في عدول الكثيرين منهم عن ذلك الفكر.
- كتابه (الحكم وقضية تكفير المسلم) المرجع الأساسي في العالم كله لمن يبحث عن جذور فكر التكفير وكيفية هدمه.
- خاض حروباً ضروساً مع دعاة العلمانية الذين اتخذوا من الطعن في تصرفات بعض المنتمين للتيار الإسلامي ستاراً للطعن في الإسلام ذاته.
- خلفَ رحمه الله تراثاً فكرياً يربو على الـ ٢٦ كتاباً في الشريعة والقانون والتطرف والمرأة وأدب الحوار وغيرها.

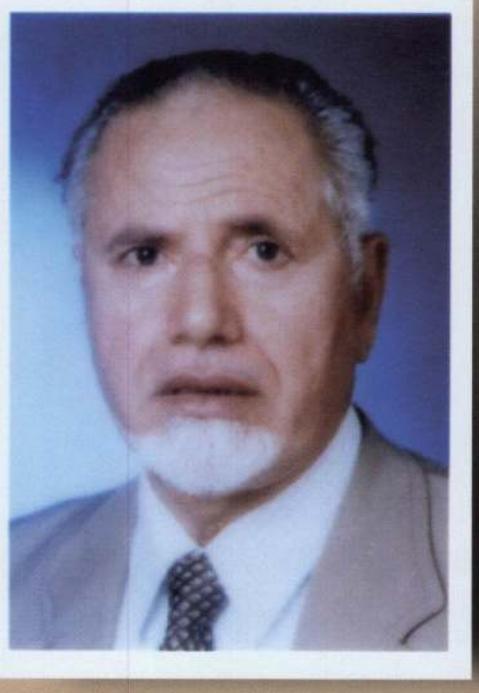

فقدت الأمتان العربية والإسلامية فجر الجمعة ٣ مارس ٢٠٠٦م الموافق ٣ صفر ١٤٢٧هـ عالماً ربانياً ورجلاً مخلصاً لدينه وأمته ألا وهو المستشار سالم البهنساوي الذي لقي ربه بينما كان يبلغ دعوة الله إلى الناس في أذربيجان خلال مؤتمر نظمته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت عن الوسطية في الإسلام، وقد توفي رحمه الله بعد أن أدى صلاة الفجر جماعة مع وكيل الوزارة الدكتور عادل عبدالله الفلاح وصحبه الكرام، وكأن روحه الطاهرة أبت إلا أن تلقى بارئها وهي تبلغ رسالة الإسلام الوسطية السمحة بعد أن تشربت روح الإسلام على مدار ٧٥ عاما قضاها في محراب الدعوة مدافعاً عن الفهم الصحيح للإسلام.

ولد المستشار البهنساوي عام ١٩٣٢ بقرية السعديين إحدى قرى محافظة الشرقية بمصر، وحصل على ليسانس الحقوق من جامعة فؤاد الأول بمصر عام ١٩٥٥م «القاهرة حاليا»، وكان قد التحق منذ صباه بدعوة الإمام الشهيد الشيخ حسن البنا في مصر، وعرف كرمز من رموز الحركة الطلابية في أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات.

وقد جر عليه تميزه منذ صباه الكثير من المشاكل حيث اعتقل في عام ١٩٥٤ وهو طالب بكلية الحقوق، إثر الإضرابات التي سادت الجامعات المصرية للاعتراض على تنحية الرئيس محمد نجيب. كما اعتقل في سبتمبر ١٩٦٥م تنفيذاً لقرار جمال عبدالناصر في ١٩٦٥/٩/٦م الذي أعلنه من موسكو أثناء زيارته للاتحاد السوفياتي باعتقال كل من سبق اعتقاله من التيار الوسطي المعتدل من أبناء الشيخ حسن البنا، واعتبار جميع المعتقلين متهمين فيما عرف بتنظيم سيد قطب وكان البهنساوي ضمن نحو ثلاثين ألف معتقل ولم يفرج عنه إلا في مايو ١٩٧١م بعد تنظيف السجون في عهد الرئيس الراحل المرحوم محمد أنور السادات.

الإصرار والتحدي

ورغم ذلك لم تمنع ظلمة السجن ولا ظلم السجانين المستشار البهنساوي من أن يدافع عن الفهم الصحيح للإسلام، حيث كان طرفاً أساسياً في الحوار الذي أجراه علماء التيار الوسطي المعتدل في السجون الحربية مع جماعة التكفير والهجرة التي أسسها شكري مصطفى وسماها جماعة المؤمنين، وقد سطر ذلك في مذكرات حتى طلب منه الشيخ عبدالحليم محمود شيخ الجامع الأزهر الأسبق أن ينشرها في كتاب فأصدر كتابه «الحكم وقضية تكفير المسلم» عام ١٩٧٧م».

والجدير ذكره أن نقاش البهنساوي وعلماء

الحركة الإسلامية من أبناء الشيخ حسن البنا أسهم في عدول الكثيرين من المخدوعين بفكر التكفير عن آرائهم حيث لم يبق على فكر التكفير سوى ثلاثة فقط يتزعمهم شكري مصطفى.

ويعتبر كتاب «الحكم وقضية تكفير المسلم» للمستشار البهنساوي المرجع الأساسي في العالم كله لمن يبحث عن جذور فكر التكفير وكيفية هدمه، حيث قوض أفكارهم بالدليل العلمي من القرآن والسنة وإجماع الصحابة وعلماء الأمة، وعراهم فكرهم وفضح الأيدي الخفية التي تقف خلفهم والتي جعلت منهم شماعات لتجفيف منابع الإسلام ومسوغاً لضرب الدعوة والدعاة المعتدلين.

نحو الحرية

بعد خروجه من السجن عام ١٩٧١م بفترة وجيزة غادر المستشار البهنساوي إلى دولة الكويت الشقيقة بحثاً عن الحرية التي فقدها في العهد الشمولي في الخمسينيات والستينيات من القرن المنصرم، وهناك عمل مستشاراً لهيئة شؤون القصر، وكانت في بدايتها آنذاك، فاجتهد في تنظيمها وسن القوانين الخاصة بها وفق روح الشريعة الإسلامية فاعتبر بحق الأب الروحي لقوانين هيئة شؤون القصر بدولة الكويت التي ظل بها حتى أحيل إلى التقاعد.

ويسجل للبهنساوي أيضاً أنه قام بصياغة العديد من القوانين المدنية المنبثقة من الشريعة الإسلامية خلال عمله في اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، كما شارك في صياغة العديد من الدساتير والقوانين لبعض الدول العربية والإسلامية ما يعني أنه كان رجل قانون من الطراز الأول إضافة إلى كونه فقيهاً وعالماً مجتهداً.

لقد توافرت للمستشار البهنساوي العديد من الصفات التي لم تتوافر لغيره فكان عالماً موسوعياً مُلماً بدقائق الشريعة الإسلامية ومستلهما روحها السمحة دون تفريط ولا إفراط، حتى أن وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت استعان به منذ عام ٢٠٠١م وحتى وفاته كمستشار خاص له نظراً لموسوعيته العلمية التي يندر أن تتوافر لإنسان في هذا الزمان.

ولقد خاض المستشار البهنساوي حروباً ضروساً عدة مع دعاة العلمانية، الذين اتخذوا من الطعن في تصرفات بعض المنتمين للتيار الإسلامي ستاراً للطعن في الإسلام ذاته، سواء على هيئة مناظرات كمناظرته الشهيرة مع فؤاد زكريا عام ١٩٩٢م، أو من خلال كتبه وكتاباته في الصحف والمجلات أو حتى في الندوات التي شارك فيها.

المؤلفات

لقد خلّف المستشار البهنساوي تراثاً فكرياً يربو على الـ ٢٦ كتاباً بدأها بكتاب «الوجيز في العبادات» عام ١٩٥٧م، ثم كتاب «الإسلام والتأمينات الاجتماعية» فكتاب «القوانين وعمال التراحيل» ١٩٦٤م وكتاب «الحكم وقضية تكفير المسلم» ١٩٧٧م، وكتاب «السنة المفترى عليها» ١٩٧٩، و«قوانين الأسرة بين عجز النساء وضعف العلماء» ١٩٨٠م، و«مكانة المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية» ١٩٨١م، و«الغزو الفكري للتاريخ والسيرة» ١٩٨٤م، و«أضواء على معالم في الطريق» ١٩٨٥م، و«سيد قطب بين العاطفة والموضوعية» ١٩٨٦م، و«تهافت العلمانية في الصحافة العربية» ١٩٨٨م، و«شبهات حول الفكر الإسلامي المعاصر» ١٩٨٩م، و«الحقائق الغائبة بين الشيعة وأهل السنة» ١٩٨٩م، و«الخلافة والخلفاء الراشدون بين الشورى والديموقراطية» ١٩٩١م، و«الإسلام لا العلمانية» ١٩٩٢، و«الشريعة المفترى عليها» ١٩٩٤م، و«فكر سيد قطب في ميزان الشرع» ١٩٩٩م، و«السنة بين الوحي والعقل» ٢٠٠٣م، و«حرية الرأي» ٢٠٠٣م، و«كمال الشريعة وعجز القانون الوضعي» ٢٠٠٣م، و«التطرف والإرهاب في المنظور الإسلامي والدولي» ٢٠٠٤م، و«السلام الصهيوني والعجز العربي» ٢٠٠٤م، و«أدب الخلاف والحوار» ٢٠٠٥م.

إضافة إلى كتابين له تحت الطبع هما «أركسة العلمانية» و«الإصلاح السياسي في الإسلام».

واللافت للنظر أن المستشار البهنساوي قضى أكثر من ثلث عمره في أرض الكويت التي أحبها وأحبته فأبت روحه الطاهرة إلا أن تدفن في ثراها الطيب فرحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته وتغمده برحمته.

الأساليب القديمة في فضّ المنازعات وروادها

طلال سعد الرميضي

القضاء في كويت

الحاكم كان يتولى الفصل في المنازعات الكبيرة، والقاضي الشرعي اختص بمنازعات الأحوال الشخصية، وأهل (الصنف) للمنازعات المهنية.

(صباح السيف) و(صباح السوق) أشهر من كان يسوي المنازعات بين بدو ذلك الزمان.

توالى آل العدساني على منصب القضاء زهاء قرن ونصف القرن صانوا خلالها الكثير من حقوق وأملاك الكويتيين.

كان العوازم من سكان (الدمنة) لا يرتضون إلا بمحكمين اثنين يواصلان تداول النزاع فيما بينهما حتى يصلا إلى الحكم الفصل.

الشيخ محمد بن فيروز هو أول من تولى القضاء في الكويت في القرن الثامن عشر.

الأجداد.. عدل فطري

صفحات مشرقة بالعدل والإنصاف والحكمة سطرها حكام الكويت الأوائل، قبل الاستقلال والدستور وقبل أن يبزغ فجر القضاء الحديث، فتركوا لنا تاريخاً مدهشاً في أصول فضّ المنازعات والخلافات، يبعث الفخر والاعتزاز في كل من عاش ويعيش على أرض الكويت الطيبة. وليس مرد ذلك إلا إيمانهم المتجذر بالله تعالى وكتابه العزيز وسنة نبيه الكريم، مقتدين بقوله تعالى: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى) - النحل 90، وقوله سبحانه: (وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا)- الإسراء 34.

وهكذا .. قادهم حرصهم على نشر العدل والمساواة بين أبناء الكويت إلى ابتكار العديد من الطرق والأساليب للفصل في الخلافات، ورفع المنازعات، فما المصادر التي استمدوا منها أحكامهم وما الطرق والإجراءات التي اتبعوها في ذلك؟، ومن هم الرواد الذين مثلوا السلطة القضائية في الكويت قديماً؟

لقد كان الكويتيون في الماضي عند حدوث منازعة كبيرة أو خلاف حول أمر ذي أهمية بينهم، يرفعون الأمر إلى الحاكم في مجلسه بصفته الشخص الوحيد القادر على ضمان العدالة في الكويت حيث يستمع الحاكم لتفاصيل الواقعة من الشاكي ثم يسمع رد الطرف الآخر حول صحة هذا الادعاء، كما يسمع أقوال الشهود إن وجدوا، وبعدها يصدر حكمه بهذه المنازعة، مستمداً مصادر هذا الحكم من الشريعة الإسلامية والعرف المتبع في الكويت قديماً.

حيث لم يكن هناك دور للسلطة التشريعية في سن قوانين تلزم بها السلطة القضائية.

أما إذا كانت هذه المنازعة تتعلق بأمر شرعي، كأن تكون متعلقة بجناية كالقتل مثلاً، أو تكون من مسائل الأحوال الشخصية، فإن الحاكم يحيلها إلى قاضي الكويت الذي يعينه هو، وعادة ما يكون عالم دين اشتهر بعلومه وتقواه، فيتولى هذا القاضي الشرعي الفصل في هذه المنازعة وفق ما يتفق مع شرع الله وكتابه وسنة رسوله.

وفي حال كانت المنازعة ذات طابع مهني، كأن تتعلق بمهنة معينة من مهن أهل الكويت القديمة كالغوص أو التجارة أو البناء، فإن الحاكم يحيلها إلى أهل (الصنف)، وهم عبارة عن لجنة تتكون من ذوي الخبرة من كبار أهل هذه المهنة، تطبق الأعراف التجارية والعادات المتعارف عليها بخصوص هذه المنازعة، وما تقره اللجنة يكون بمثابة الحكم الفصل، وهي بذلك تؤدي دوراً كالدور الذي تلعبه لجان التحكيم في وقتنا الحاضر.

أما القضايا الصغيرة أو التي تعتبر ذات أهمية قليلة، والمتعلقة بالبدو خاصة، فكان الحاكم يوكلها إلى أمير من عائلته يختص بنظرها والفصل فيها، وقد اشتهر في أوائل القرن الماضي اسمان ذاع صيتهما في الكويت قاما بدور كبير في الفصل في الكثير من المنازعات من هذا النوع، وهما المرحوم الشيخ صباح السعود الصباح الذي لقب بـ «صباح السيف» وعرف بـ «الصباحين» نظراً لتكرار اسم الصباح مرتين في اسمه، والمرحوم الشيخ صباح بن دعيج الذي اشتهر بـ «صباح السوق».

أسلوب «السالفة»

ومن جانب آخر كان بعض الكويتيين، من سكان المدن والقرى الواقعة خارج سور الكويت، يطبقون بعض الطرق والأساليب المختلفة لفض النزاعات التي تقع فيها، ولعل ذلك راجع لبعدهم عن من هم داخل السور، فعلى سبيل المثال كان العوازم من سكان الدمنة «السالمية حاليا» يأتون بمحكمين اثنين عند حدوث منازعة بين طرفين حول تجارة أو غوص أو زراعة، حيث يأتي كل طرف بمحكم من جانبه يعرف بالتقوى والصلاح، فيلتقي هذان المحكمان معا لفض النزاع وما يتفقان عليه يعتبر الحكم الفاصل في المنازعة كما كان بعض منهم يعتمد أسلوباً آخر، وهو أن يلجأ الطرفان إلى شخص واحد من سكان الدمنة يتقاضيان أمامه وما يحكم به ينفذ عليهما.

وقد عرف هذا الأسلوب باسم «السالفة»، وأبرز من اشتهر به محمد بن وسمي وخليف الأذينة ومحمد المدعج رحمهم الله.

والجدير بالذكر أن حكام الكويت وقضاتها كانوا يختصون منذ القدم بجميع المنازعات المتعلقة بالكويتيين أو المقيمين الأجانب في الكويت، واستمر هذا الوضع حتى شهر يوليو 1925م حيث خرجت السلطة القضائية من يد الحاكم والقضاة بالنسبة للبريطانيين والأجانب غير المسلمين، فأصبحت بريطانيا منذ ذلك التاريخ تمارس هذا الاختصاص القضائي في محكمة أنشئت في دار المعتمد البريطاني بالكويت خصيصا لهذا الغرض، وذلك تنفيذا للمادة 16 من معاهدة لوزان للسلام المنعقدة في 24 يوليو 1923، والتي

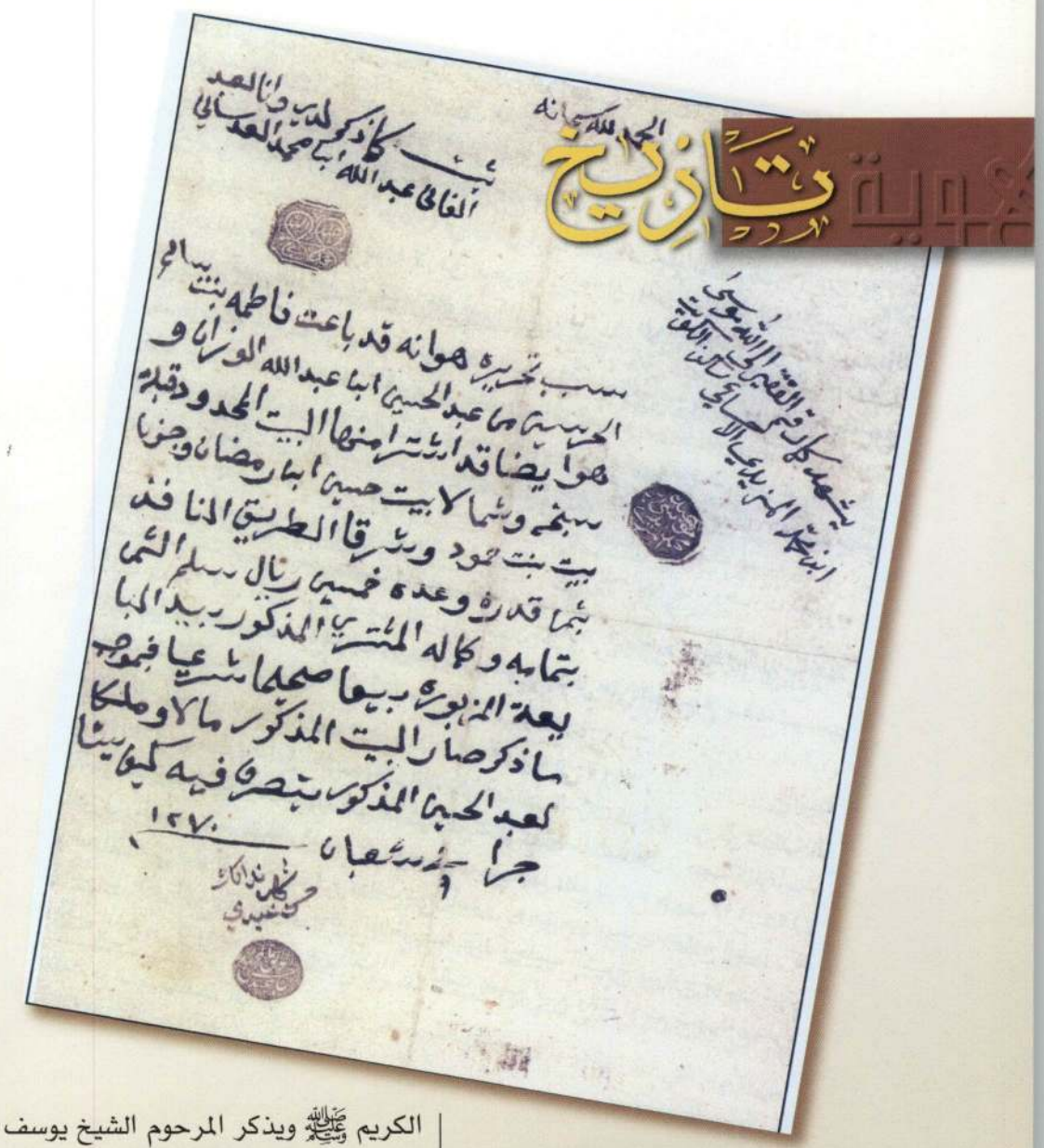

وضعت البلدان العربية تحت نظام الانتداب، واستمر على هذا الوضع حتى حصول دولة الكويت على استقلالها، حيث طبقت الكويت بعد ذلك الاختصاص القضائي الإقليمي الذي أعطى للقضاء ولاية النظر بجميع القضايا التي تقع داخل إقليم الكويت، بغض النظر عن جنسية أو دين المتخاصم.

وقد كان الرواد الأوائل الذين تولوا منصب القضاء الشرعي، على قدر كبير من المسؤولية والحكم والتقوى والعلم أهلهم لتولي منصب خطير حذر الرسول ﷺ منه، ونبه إلى خطورته بقوله: «من جعل قاضيا بين الناس فقد ذبح بغير سكين» رواه الترمذي وصححه وقال الرسول ﷺ أيضاً: إن القضاة ثلاثة: واحد في الجنة واثنان في النار، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق وقضى به، ورجل عرف الحق وجار في الحكم فهو في النار، ورجل قضي للناس على جهل فهو في النار» رواه أبو داود وابن ماجة والترمذي والحاكم وصححه أما بالنسبة لروادنا في القضاء الشرعي فقد اجتهدوا وأصابوا بفضل من الله بأن اهتدوا في إصدار أحكامهم بالقرآن الكريم وسنة رسوله الكريم ﷺ ويذكر المرحوم الشيخ يوسف بن عيسى القناعي في كتابه القيم «صفحات من تاريخ الكويت» عن علم القضاة وسيرتهم بأنها كانت «سيرة طيبة ولم يذكر عنهم بشيء مخالف للشرع».

القضاة الأوائل

وتشير المصادر إلى أن أول من تولى القضاء في الكويت هو الشيخ محمد بن فيروز المتوفى سنة 1722م، ثم تولى هذا المنصب بعده رجل من آل الجليل، واستمر في عمله حتى قدوم الشيخ محمد بن عبدالرحمن العدساني من الإحساء، الذي زوج ابنته للقاضي، والذي بدوره تنازل له عن منصب القضاء إعجابا بعلمه، فباشر الشيخ العدساني القضاء من سنة 1756 حتى وفاته سنة 1782م، ثم تولى بعده ابنه الشيخ محمد بن محمد العدساني الذي استمر في القضاء حتى عام 1793، ثم انتقل القضاء إلى الشيخ محمد صالح بن محمد بن محمد العدساني الذي استمر في القضاء حتى عام 1810م، حيث اعتزل القضاء بعد أن نشب بينه وبين العالم الحنبلي الشيخ علي بن شارخ خلاف حول صيام شهر رمضان.

ويشير المرحوم الأستاذ عبدالله الحاتم في كتابه الممتع (من هنا بدأت الكويت) لهذا النزاع بقوله: (فالعدساني يرى عدم جواز الصيام إلا بالرؤية أو كمال شعبان ثلاثين يوماً كما جاء في الحديث الشريف: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما). وتفاقم الخلاف ورفع الأمر إلى الشيخ عبدالله بن صباح، الذي وقف إلى جانب الشيخ علي بن شارخ، وقدم العدساني استقالته وحل مكانه الشيخ ابن شارخ، وفي عام 1813م توفي الشيخ علي بن شارخ، فعاد الشيخ محمد صالح العدساني إلى منصب القضاء، واستمر خمس سنوات في منصبه إلى أن توفي سنة 1818م.

إثر وفاة العدساني تولى الشيخان علي بن نشوان ومحمد بن محمود القضاء بالوكالة، حتى استعد للقضاء الشيخ عبدالله بن محمد صالح العدساني، الذي أصبح قاضي الكويت من سنة 1820 إلى سنة 1857م حيث استمر في القضاء فترة طويلة وهي37سنة،ثم تولى القضاء بعد وفاته ابنه الشيخ محمد بن عبدالله العدساني، وشغل القضاء فترة أطول من التي قضاها والده حيث استمر فيه ما يقارب 62 سنة إلى أن وافقته المنية سنة 1919م.

بعد ذلك تولى الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله العدساني هذا المنصب، وساعده فيه ابن عمه الشيخ عبدالله بن خالد العدساني لفترة قصيرة، وما أن توفي الشيخ عبدالعزيز في العام التالي، حتى انفرد الشيخ عبدالله العدساني في القضاء، وعرف عنه أنه كان يحكم بين الناس بالعدل والحق وفق ما أمر الله عباده المسلمين حتى توفاه الله في أول ليلة من رمضان سنة 1348هـ (يناير 1930م).

وبذلك كان الشيخ عبدالله العدساني آخر من تولى القضاء من عائلة آل العدساني الجديرة بالاحترام والتقدير لما قدمت للكويتيين من خدمات جليلة خلال مدة طويلة من الزمن ابتلي أفرادها خلالها بمهام منصب القضاء فاجتهدوا في الفصل بين المنازعات والخلافات الواقعة في الكويت، كما ساهمت العائلة الكريمة مساهمة فعالة في حفظ وصون الكثير من أملاك وحقوق الكويتيين من خلال الوثائق والصكوك التي كانت تصادق عليها لاعتمادها رسميا وعرفت باسم «الوثائق العدسانية».

ويذكر أن منصب القضاء الشرعي ظل شاغراً بعد وفاة الشيخ عبدالله العدساني لمدة تتجاوز الشهر لاعتذار الكثير من رجال العلم والدين عن توليه، ومنهم الشيخ مساعد بن عبدالله العازمي، والذي يعد أول خريج كويتي حيث حصل على شهادته العلمية من الجامع الأزهر الشريف في أغسطس عام 1881م (شوال 1298)، لكن الشيخ مساعد كان قد بلغ الرابعة والثمانين من عمره حين عرض عليه المرحوم الشيخ أحمد الجابر الصباح الحاكم العاشر للكويت منصب القضاء الشرعي، وقد اعتذر إليه عن قبول هذا المنصب معللاً ذلك بسفره إلى البلدان الإسلامية المختلفة، لقيامه بدوره الإنساني الجليل المتمثل بتعليم الناس العلوم الشرعية المتعددة، ولتلقيحهم بمصل مضاد لمرض الجدري القاتل، فعين الشيخ الفاضل عبدالله بن خلف الدحيان، بعد إلحاح شديد من أهالي الكويت بأن يكون نائبا لا أصيلاً في منصب القضاء إلى أن يجدوا من يقوم مقامه، ولكن شاءت الأقدار أن يتوفى الدحيان بعد مرور سنة واحدة فقط من توليه القضاء، ويعلق المرحوم الأستاذ عبدالله الحاتم في كتابه الشيق (من هنا بدأت الكويت) على وفاة الشيخ عبدالله الدحيان بقوله: «كأنما العناية الإلهية أشفقت على هذا العالم الورع أن يكون في مثل هذا المنصب الخطر فاختارته إلى جوارها».

أول مجلس منتخب

بعد ذلك تولى القضاء كل من الشيخ عبدالعزيز قاسم حمادة، والشيخ أحمد عطية الأثري، وكانا من المدرسين المشهورين في الكويت آنذاك، واستمرا في القضاء حتى شهر يوليو من سنة 1938م حيث شكل أول مجلس تشريعي منتخب في الكويت، وذلك بعد ظهور الحركات الإصلاحية في البلاد المجاورة، وقد أثمر هذا المجلس الكثير من الإصلاحات في مجال القضاء وكان من أبرزها:

1- تنظيم مواعيد وإجراءات التقاضي للمتنازعين، وإنشاء مكان رسمي للقضاء في وسط المدينة يلجأ إليه المتنازعون للفصل في قضاياهم.
2- ألزم المجلس التشريعي القضاة باستنباط أحكامهم من مجلة الأحكام العدلية، والتي تستوحي أحكامها من الشريعة الإسلامية، وهنا نلاحظ ظهور السلطة التشريعية للمرة الأولى بيد مجلس تشريعي مكون من أعضاء منتخبين.
3- أصدر المجلس قرارا بتشكيل محكمة صغرى للنظر في القضايا المدنية التي تقل قيمتها عن الخمسين روبية.
4- عين العلامة الشيخ عبدالمحسن بن ابراهيم البابطين (قاضي الزبير الأسبق) رئيسا للقضاء، وعين كل من الشيخ عبدالعزيز حمادة معاونا له، والشيخ أحمد عطية الأثري معاونا ثانيا، إلا أن الشيخ عبدالمحسن لم يدم طويلاً في هذا المنصب.
5- جعل المجلس التشريعي مهام محكمة الاستئناف من اختصاص لجنة الاستئناف التابعة له، إلا أن هذا المجلس لم يستمر طويلاً حيث سقط في أواخر تلك السنة والتي عرفت بـ «سنة المجلس».

بعد (سنة المجلس) واصل القضاء تطوره، وابتداء من سنة 1948م أخذت الكويت تسعى لتحديث القضاء لمسايرة الحياة العملية ولمواكبة ما أحدثه العصر من تطور هائل، فشكل القضاء من ثلاث محاكم كالتالي: محكمة شرعية كبرى تتولى الفصل في الدعاوي التي تتعلق بالميراث والجنايات والمسائل المدنية، ومحكمة الأحوال الشخصية، ومحكمة ثالثة تنظر في الجنح الصغيرة، ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نشيد بالدور الكبير الذي قام به الشيخ يوسف بن عيسى القناعي قاضي التمييز آنذاك.

ويذكر أنه في عام 1946 عرض رئيس المحاكم حينذاك المرحوم الشيخ عبدالله الجابر الصباح على الشيخ الجليل عبدالوهاب الفارس تولي القضاء إلا أن الأخير رجاه أن يعفيه من ذلك ورعا وزهدا، فأعفاه الشيخ عبدالله من القضاء، وقد أحس المشرع الكويتي بضرورة التقنين في هذا المجال، فأصدر قانون تنظيم القضاء رقم 19 لسنة 1959 الذي احتوى على 68 مادة، موزعة على ثلاثة أبواب، تناولت مواضيع عدة منها استقلال القضاء وولايته، وترتيب جهات التقاضي من محاكم ولجان تحكيم وكيفية السير بالدعاوي، وطرق تعيين القضاة وواجباتهم بالإضافة إلى اختصاص النيابة العامة ودورها المهم في نطاق العمل القضائي.

واستمر القضاء في التطوير إلى أن نالت الكويت استقلالها وصدر دستور دولة الكويت الحالي في 11 نوفمبر عام 1962 راسماً الخطوط العريضة للسلطة القضائية في البلاد من خلال مواده من رقم 162 إلى 173، إضافة إلى الكثير من القوانين التي عملت على تطوير الجهاز القضائي وترسيخ دعائمه كقانون رقم 14 لسنة 1973 الخاص بإنشاء المحكمة الدستورية، وقانون رقم 20 لسنة 1981 الخاص بإنشاء الدائرة الإدارية بالمحكمة الكلية.

د.فايز الداية

الشعر وثقافة البحر ف

إنّ الثقافة بدلالاتها الواسعة تشمل ألوان الحضارة المادية والفكرية والفنية في شتى وجوه النشاط في مجتمع من المجتمعات البشرية، وتأتي علاقة أبناء الخليج العربي بالبحر حالة متميّزة في هذا الإطار فقد كان كلّ بيت معنياً بمواسم السفر والغوص إذ يخرج واحد أو أكثر من أهله وتنقسم الأسرة بين مسافر فوق الأمواج ومنتظر على الأرض.

وكان الكفاح وراء الرزق تحفّه المخاطر والأهوال بالعواصف وكائنات البحر والغربة تدوم شهوراً حتى يتّم اللقاء بدمعة وبسمة وزاد من البحر.

إنّ البحر مثّل تحدياً في سبيل البقاء عندما وجد أهل الخليج العربي أنفسهم بين بحرين واحد هو رمال ممتدّة وقفار لا ماء فيها، ولا كلأ وآخر هو أمواج ترسم مع الأفق حدوداً تكاد تقفل المدى، لكن العزيمة أرادت البرهنة على أن الإنسان يستطيع مع البصيرة أن يستخرج طاقات أودعها الله بين الجوانح فانطلق في عرض الماء، وتوغل حتى أضاءت له شواطئ الدنيا واستطاع التفاعل مع حضارات أخرى بالتبادل التجاري والثقافي فجاءت مكاسبه مادّية وفكرية وفنية.

ـي الخليـج العربـي

دخلـت الأجيال المعاصـرة غمـار حياة جديدة بفضـل الـثروة النفطية التي عملت على تغيير مسـارات الاقتصـاد وعديد من ملامح البنية الاجتماعية، وأخذ كثيرون يشـقون طريقهم إلى مهن مرتبطة بالعلوم الحديثة وأسـاليب الحضـارة العالمية وشـروطها، ولكن تظلّ حكايات الأسـلاف وسـيرة البحر ضـرورة لا على أنهـا ذكريات في كتـب مغلقة تفتح في مناسـبات وقد يكتفي بالإشـارة إليها عن بعد، وإنما هي أمثولة ونهـج في الحياة نعود فنرى جوهر السـمات فيه وطبيعة العلاقات لتغدو جزءاً من تجاربنـا الحيَّة، وبالطبع إن التاريـخ لا يعيد نفسـه بالمعنـي الحرفي، لكن المسـارات والقيم هـي الباقية وخطـة التعامل هـي الماثلة بعد تغيّر الملامح الخارجية التي يصـيبها التطور الحضـاري وثمة بعد آخر في التمسك بالتراث الحضاري البحري وهو العمق التاريخي للأمة مما يجعلها راسـخة على الأرض ومسـتمرّة في الزمن الآتي بصلابة تملأ النفس أملاً.

وإننا إذ نعود إلى الماضي نلتمس خطوات نحو المستقبل، وأولى هذه الخطوات إيماننـا بالقـدرة على الفعل الحضـاري مع الأخذ بأسـبابه المعاصـرة، وقد يذهب بعض من الكتّاب اليوم إلى التهوين من هذا الارتباط بدعوى أن الدنيا تغيّرت وهنا نصـحب هؤلاء في جولة في بلاد العـالم المتطور لنريهم كيف أن أن كلَّ بلد وكلّ شـعب يحافظ على آثاره، وينشـئ معاهد ومؤسسات لتسجيل كل ما له صـلة بماضـيهم بل بالزمن القريب، ولعلّ بيـوت ا لأدباء والفنانين التي تحول إلى متاحف لآبرزُ دليل على أهمية صنع تاريخ إذا صحت العبارة، وهكـذا نجد أنفسـنا غـير مغالين عندما نسـتفيد مـن تاريخ حافـل بالقيم والخبرة ومتصل لم ينقطع وبعيد الأغوار في سجل الحضارة الإنسانية.

يعجب بعض الدارسين كيف تأتّي لأهل البوادي والصحراء في الحقبة الحديثة (الممتـدة منذ ما يزيد على ثلاثمئة سـنة) أن يقتحموا عبـاب البحر ويفكوا أسـراره بـل وتتعاظم أسـاطيل سـفنهم إلى آلاف ليرتادوا سـواحل إفريقية والهند والصـين والجزر المنتشرة على مسـارات رحلاتهم، ولعلّ الرجوع إلى سـجلات التاريخ تضـع أمام هؤلاء حقائق خافية عنهم أو أن حلقاتها ليست واضـحة الترابط لديهم ذلك أن الكشـوف الأثرية قدّمـت النقوش والأدوات المسـتعملة في بلاد دلمون منذ الألف الثالث قبل الميلاد على السـاحل الشرقي للجزيرة العربية الذي يشـمل كل السـواحل من المضيق الذي يبدأ به الخليج العربي إلى أرض الكويت الحالية. وتبرهن هذه الآثار على الوجود الحضاري العربي والصـلة بين أهله وأصـولهم في أعماق الجزيرة وسواحلها الجنوبية، وكذلـك مع المجموعات التـي عمرت بلاد الشـام القديمة (العموريون والكنعانيون، والآراميون).

قد كانت رمـوز البحار وأسـفارها وبراعة بناء القوارب والسفن تتناقلها الأجيال في خـبرات عملية ومدوّنات وأجهزة بسـيطة تنامت مع الزمن، وقد حُفظت لنا في المراحل الإسلامية ومن أهمها ما تركه أحمد بن ماجد وسليمان المهري في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي.

تعـدّ (ملحمة جلجامش) أقدم نصّ ملحمـي في الآداب العالمية إذ تعود إلى الألـف الثاني قبل الميلاد وكانت متداولة في بلاد الرافدين والشـام القديمة وانتقلت شخصـيّاتها الأسـطورية إلى التراث الإغريقي بعـد أكثر من ألف عـام، وتضـمنت هـذه الملحمة وصـفاً للغوص في ميـاه الخليـج عندما جاء جلجامش باحثاً عن النبتة التي تمنح الخلود فأرشده أوتو نبشتم إليها ولكنه عند صعوده إلى البرّ غفل عنها فسرقتها الأفعى، وإننا بتأمل طريقة النزول إلى الأعمـاق ندرك أن عمليات اسـتخراج اللؤلؤ عرفت منـذ ذلك التاريخ، كماشرحت النقوش أسفار أهل دلمون إلى بلاد الهند والعلاقات التجارية.

رحلة البوادي وثقافة البحر

يرجع تاريخ الشعر الجاهلي إلى مئتي سنة قبل الهجرة النبوية الشريفة أي في القرنين الخامس والسادس الميلاديين، ورغم انصراف معظم نتاج الشعراء إلى أجواء البادية وبعض حواضـرها الداخلية (مكة، يثرب، الطائف) وما كان فيها من أحداث وظواهر وصـراعات وملامح المعيشـة وسمات الطبيعة بكثبانهـا وظبائهـا ونخلها وذئابهـا .. فإن الثقافة البحريـة تجلّت في عديد من القصـائد على شكل ومضات تصويرية سـريعة ومقاطع ترسم مشاهد مميّزة وبعض المقطوعات الشعرية.

إنّ بعضـ هؤلاء الشـعراء الجاهليين كان قريباً من سـواحل الخليج العربي وينتسب إلى قبائل عايشت البحر وسكنت بعضاً من القرى بجواره وأبرزهم هـو طرفة بن العبد، وثمـة آخرون من عمق البادية حيث المراعي الموسـمية وبعض الواحات التي تشـكل بتضاد خضـرتها مع لون الرمال ثنائية محركة للتصّـور وموازنـة ومثيرة ولعلّ أبرز شـعراء هـذه المجموعة امـرؤ القيس، وهناك من تنوّعت صلتهم من مثل النابغة الذبياني والمرقّش الأكبر والمسيّب بن علس، وقد اسـتحوذ على اهتمام الشـعراء الجاهليين جانبان من ثقافة البحـر: الأول هو السـفن والملاحة، والآخـر هو اللؤلؤ أو الـدرّ مما يعني أن جانبي العمل البحري كانا حاضـرين في الذاكرة والتصّور: السفر والتجارة ورحلات الغوص بحثاً عن اللآلئ.

إن مـا نلحظـه عند امرئ القيس هو اللمحـات الدقيقة في حديثه عن البحر إضـافة إلى توظيفه في زوايا أساسية من تجربته الشعرية وقد يكون بيته في معلقته أشهر قول شعري في هذا المجال:

ولـيـل كـمـوج الـبـحـر أرخـى سـدولـه
عـلـيَّ بـأنـواع الـهـمـوم لـيـبـتـلـي

ويبدو لنا هذا الليل الذي عاني منه الشاعر متحركاً كما هي الأمواج في صخبها وهديرها لأن الظلمة صارعت النهار وأخذت مواقعها من أطراف التلال والهضاب وامتداد الوديان كما تسدل الستائر شيئاً فشيئاً حتى يحاصر الليل الأرض ومن عليها، وتتغير الأحاسيس مع تغير هذه الألوان فالحركة قائمة لكنها في الذات وذكرياتها وطموحات تنتظر انزياح الغمة لتعرف طريقاً إلى الآخرين والى الدورب تتفتح، وهكذا يكون حضور البحر وحركته والمجهول الكامن وراءه فاعلاً في البرّ وبين أهله، وتكمن في العمق أهوال الأسفار البحرية وكذلك الآمال المعلقة بها.

ونتجه إلى غرض شعري هام في القصيدة الجاهلية المركّبة وهو الرحلة التي ينتقل فيها الشاعر بين الديار وفي الفلوات أو يشير إلى ارتحال المحبوبة وأهلها من موضع إلى آخر، وهنا يتسع القول لوصف الراحلة الناقة والوحش - الحيوان في تشكيلات رمزية متنوّعة، وقد يُدهش المتلقى اليوم للتلازم بين هذه الرحلة البريّة في البادية والرحلة البحرية من خلال رموز لها هي السفن والملاّحون، ويتأكد وعي الشاعر بأنهما تشتركان في وظيفة واحدة هي البحث عن الحياة واستمرارها بالسعي وراء المراعي والكلأ مع تبدّل الفصول والمواسم في البوادي ومواطن القبائل، وبالإبحار مع الرياح وفوق الأمواج بصحبة البضائع عبر الموانئ أو باقتحام الأعماق حتى بلوغ أصداف اللالئ، ونقرأ أولاً بيتين لأمرئ القيس:

بعيني ظُعن الحيّ لما تحملوا
لدي جانب الأفلاج من جنب تيمرا
فشبهتهم في الآل لما تكمّشوا
حدائق دوم أو سفيناً مقيّرا

إنه يتابع بنظره الظعائن وهي ترحل بعيداً ثم تنعكس صدورها في السراب الذي يبدو على البعد كالماء، وتتجاور في المشهد أشجار الدوم والسفن في حالة خاصّة وهو مطلية بالقار لأن الهوادج والجمال تتمثل على البعد بكتلة داكنة لا يظهر فيها لون أو ملامح جزئية، ولعلنا لاحظنا التقاط امرئ القيس لصورة السفن وهي تحضّر وتهيأ لرحلاتها بطلائها وصيانتها مما يدل على دراية بدقائق الحياة البحرية.

ويظهر شعر طرفة بن العبد أكثر تفصيلا لمسار المراكب ومياه البحر ويظل الربط بين البرّ والبحر القاسم المشترك مع امرئ القيس واضرابه:

كأنّ حدوج المالكية غُدوة
خلايا سفين بالنواصف من دَدِ
عدولية أو من سفين ابن يامن
يجور بها الملاّح طوراً ويهتدي
يشقّ حبابَ الماء حيزومها بها
كما قسم الترب المفايل باليد

يتابع طرفة مشهد مراكب النساء المرتحلات وفيهن من يحبّ: (المالكية) في الصباح فيستحضر السفن الضخمة، ويذهب إلى تحديد هويّتها بالمكان (عدولية نسبة إلى قرية عدولي في البحرين) أو بالإنسان (ابن يامن من رجال البحر من مدينة هجر) والتردّد بين الاحتمالين يعطينا تعدّد مرافئ السفر وانتشار النشاط البحري، ويؤكدّ الجانب المعرفي لطرفة، ومن ثمّ يقدم لنا الشاعر حركات وصوراً من زاويا مختلفة فالملاّح يدير الدّفة فتميل السفينة مع الموج العاتي وتكاد تغرق ثم تتدارك المهارة فتعتدل في مسارها، ويلتقط الشاعر مشهداً آخر من عرض الماء كأنه في مركب آخر يرى اختراق صدر السفينة للموج فكأنه يقسم المياه شطرين، وهنا تحضر حركة بريّة تمدّ فيها اليد لتقسيم كومة التراب بضربة واحدة قسمين.

ويمّر بيت للمرقش الأكبر في قصيدة له يجمع مفردات وصوراً توزّعت من قبل بين امرئ القيس وطرفة:

لمن الظُعْنُ بالضحى طافيات
شبهها الدّوم أو خلايا سفين

حكاية اللؤلؤ والمصير

إن القارئ لا تغيب عنه الوشائج في صور الشعراء في العصر الجاهلي بين البحر والمرأة التي كانت في تلك الهوادج ورحلاتها، وعندما نتأمّل اللؤلؤ أو الدرّ في القصائد نجد الربط جمالياً بين من يحبّ الشاعر وهذه الدرّة ينعكس الضوء عليها ألواناً، وتعدّ من أثمن ما يراه أهل البحر وأهل البرّ وقد جاءت في لمحة سريعة ضمن إيقاع تصويري مكثّف يضمّ مجموعة قيم جمالية في حياة العربي في تلك الحقبة التاريخية في قصيدة للأعشى:

وقد أراها بين أترابها
في الحيّ ذي البهجة والسامر
إذ هي مثل الغصن ميّالة
تروق عيني ذي الحجا الزائر
أو بيضة في الدعص مكنونة
أو درّة سيقت إلى تاجر

وفي نصّ شعري جاهلي نادر نتابع قصّة الدرّة أو الجمانة التي حفظت لنا في كتاب (الجمان في تشبيهات القرآن) لأبي القاسم عبدالله بن ناقيا (٤٨٥ هـ):

كجمانة البحري جاء بها
غوّاصُها من لُجة البحر
صُلب الفؤاد رئيس أربعة
متخالفي الألوان والنجر
فتنازعوا حتى إذا اجتمعوا
ألقوا إليه مقالد الأمر
حتّى إذا ما ساء ظنهمُ
ومطابهم شهراً إلى شهرِ
ألقى مراسيَه بتهلكة
ثبتت رواسيها فما تجري
قتلت أباه فقال: أتبعه
أو أستفيد رغيبة الدهر
نصفَ النهارُ الماءُ غامره
وشريكُه بالغيب ما يدري
فأصاب منيتَه فجاء بها
صدفيّة كمضيئة الجَمْر
يُعطى بها ثمناً فيمنعها
ويقول صاحبه: ألا تشري
أفتلك شبه المالكية إذا
خرجت ببهجتها من الخِدْرِ؟!

تنسب هذه الأبيات للشاعر المسيّب بن علس وبعضهم نسبها إلى الشاعر الأعشى. وهي حافلة بجانبين أولهما معرفي يقدّم عمل الغوص في الخليج العربي - وتوزّع الوظائف وترتيب القيادة، فهناك قائد الجماعة وهو العارف بمكامن اللؤلؤ والشروط الطبيعية وثمة من ينزل إلى الأعماق وآخر يمسك بالحبل يرقبه ويساعده على الصعود، ونلحظ تتابع الأجيال فهذا الشاب يكمل الحلم الذي سعى وراءه أبوه من قبل ونحسّ بمقدار الشقاء والتضحيات في سبيل ديمومة نبض الحياة على الأرض، فالأب يموت في رحلة سابقة، ويدرك ابنه الضرورة وإكمال الخطوات والتحدّي فيأتي والإصرار رفيقه، ثم نشهد المرحلة التالية للحصول على الجمانة وهي بيع المحصول والتجوال في الأسواق بعد شهور الغوص والجانب الآخر هو أنها سيرة مجتمع وحكاية صراع ولحظات تأزّم عندما تطول الرحلة ويغيب البحّار ويخشى الآخرون أن يلقى مصير والده، وتمتزج جمالية القصة وسحر أسلوبي يقرن المحبوبة بالجمانة بخيط نفسي واجتماعي يبث الحياة في اللؤلؤ (الجمان).

وقد يكون منوّراً هذا التراث الشعري اقترانه بالشعر المعاصر في أيّامنا، وذلك بتكشّف المشترك بين أجيال تلتقي على قضايا المصير وبناء المجتمع القادر على عبور المسالك الصعبة، ونكتفي بزاوية واحدة في إطلالتنا عند شاعرين واحد من البحرين هو علي عبدالله خليفة الذي يقول على لسان الأم تخاطب ابنها الصغير وتشدّ من أزره وهو يواصل طريق أبيه، وذلك في قصيدة (على أبواب الرحلة الأولى) من ديوان (أنين الصواري).

فلئن خانتْ بحارُ الصمت بحّاراً جسوراً ارتمى منه الشراع/ مزقا فوق الأجاج/ وتهاوي قائم الأشياء وانفكّت حبال/ فاحتواه الموج في حقّ مشاع/ بعد أن خارت قواه/ هذه أحوال دنيانا وحال البحر/ من قعر الدهور/ لا يني دوماً يثور / يقصف الأعمار يقسو والنوال / من عطاء الخير في أرضي وفير.

والشاعر الآخر هو خليفة الوقيّان الذي يتناول تجربة الأسلاف التي لم تعرف التضحية فيها حدوداً فرسمت خطّاً لا ينقطع بين ماضٍ وحاضر ومستقبل، وذلك في ديوان (حصاد الريح) وقصيدة (إشارات):

وأطرقتُ حيناً/ أدرتُ إلى جهة البحر وجهي/ رأسي ثقيل/ هنا نام جدي/ الذي أكل البحرُ أشلاءه/ في الرحيل الطويل/ هناك أبي/ مّزق القرشُ أطرافه/ حينما نزعت كفّهُ الخبز/ من بين أنياب غول المحيط/ فأهدى البقاء لأطفاله الجائعين».

د. علي أسعد وطفة

التفاعل التربوي في المدرسة..

ودوره في بناء هوية الطفل

تعتبر العلاقات التربوية القائمة في المؤسسات التربوية البوتقة الرمزية التي يتشكل فيها الكائن الإنساني على نحو رمزي. وتجسد هذه العلاقات شبكة من القيم والأفكار والمعايير الثقافية التي تحدد العلاقات والفعاليات التي تربط الكائن الإنساني مع العالم الاجتماعي الذي يعيش فيه. فالإنسان طاقة نفسية قابلة للتشكل في سياق العلاقات التربوية التي تقوم على أسس سيكولوجية ووفق منطق سيكولوجي متنوع.

فلكل علاقة تربوية أو اجتماعية مضمون سيكولوجي محدد، وهذا يعني أن البناء السيكولوجي للفرد مرهون إلى حد كبير بالانساق التربوية المحيطة به. فصورة الهوية في مضامينها النفسية والاجتماعية رهينة بمعطيات العلاقات والتفاعلات التي تحيط بالإنسان في بيئته الاجتماعية، ومن هنا تأتي أهمية البحث في معطيات الصورة التفاعلية للحياة التربوية في المؤسسة المدرسية والمجتمع.

تتكون المؤسسات التربوية من شبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية، وهي بذلك تعكس نمط الحياة الاجتماعية وطابعها، ولكن لا يمكنها أن تكون صورا مصغرة ساذجة عن الحياة الاجتماعية لأنها تمتلك هوية وجودها الخاص وتمتلك قانونية فعلها المميز، ما يعني أن هذه المؤسسات تلعب بالضرورة أدواراً حيوية في عملية التجديد الاجتماعي، وذلك في إطار علاقاتها الجدلية والدينامية مع الحياة الاجتماعية، فهي المعنية يقينا ببناء أجيال العلماء والمفكرين وهي القادرة على تشكيل الذهنية العلمية الضرورية لبناء حياة اجتماعية تتجه نحو الأصالة والتكامل، وذلك أن وظيفتها لا تتوقف عند حدود بناء العقل والمعرفة عند الإنسان بل تسعى إلى بناء الجوانب الأخلاقية والسيكولوجية والإنسانية التي تربطه بنسق وجوده الاجتماعي.

لا تتوقف وظيفة المدرسة عند حدود بناء العقل والمعرفة، بل تسعى إلى بناء الجوانب الأخلاقية والسيكولوجية والإنسانية التي تربط الطالب بنسق وجوده الاجتماعي.

وإذا كانت المؤسسات التربوية حقا مؤسسات اجتماعية تتجاوز حدود الصورة ذات البعد الواحد - البعد الذي يتمثل في دورة السوق البسيطة - فإن البحث في معطيات الحياة المدرسية أمر تقتضيه الضرورة العملية حيث لا يمكن أبداً تجاهل الدور الحيوي الذي تؤديه في حياة الأفراد والمجتمعات والأمم. ففي المدرسة يخضع الطالب لجملة من المعطيات العلمية والتربوية والاجتماعية، وهو عندما يتأثر بها يؤثر فيها في الوقت نفسه. والطالب في سعيه لاكتساب المعرفة العلمية يكتسب عفويا منظومة من القيم والاتجاهات التي قد لا تتصل مباشرة بالمعطيات العلمية التي يسعى إلى اكتسابها. وهو في سعيه هذا أيضاً لايكتسب أنماطا سلوكية وقيما واتجاهات، بل يسقط بعضا من القيم والاتجاهات والمعايير التي اكتسبها في مراحل تربوية سابقة، وهذا يعني أنه يخضع لعملية تربوية جديدة يتشكل فيها على صورة جديدة.

وهذا يعني أن العملية التربوية لا تسعى إلى بناء الطالب معرفياً فحسب بل إلى بنائه على نحو متكامل.

من هنا يمكن القول أن العلاقات الدينامية التربوية تجسد عبر هذه الصورة الدفع الحيوي للوجود الاجتماعي في المدرسة، ومن هنا بالذات تكمن أهمية البحث في البنية الاتصالية للمدرسة ودور هذه البنية في تأدية المدرسة لوظيفتها ودورها. فالمدرسة نقطة اتصال بين الأجيال وبالذات جيل الطلبة والأساتذة، والعلاقات التربوية في المدرسة تتحدد بتأثير نسق من الشروط الموضوعية التي تحدد لها هويتها ووظيفتها وهنا يتوجب علينا أن ندرك طبيعة هذه الشروط الموضوعية للفعل التربوي المدرسي، وأن نتحرى عن جوانبه الخاصة بنسق العلاقات الاجتماعية الجوهرية. ويمكن لنا في هذا السياق أن نشير إلى بعض المحاور الأساسية لطبيعة التفاعلات الجارية في إطار الحياة المدرسية ومنها:

تؤكد الأبحاث التربوية أن تفتح العقل وبناء المعرفة أمران مرهونان بمعطيات الحرية، التي يجب أن تسود المناخ التربوي.

١- طبيعة ونمط واتجاهات العلاقات التربوية وطبيعة التأثير الذي يتركه كل نوع من هذه العلاقات على بنية الفرد.

٢- نمط العلاقات الاجتماعية التربوية السائدة خارج المدرسة وصورتها على النحو الذي تتحدد فيه اجتماعيا.

٣- الشروط الموضوعية لتشكل هذه العلاقات في إطار المؤسسات التعليمية.

وتتجه الأبحاث اليوم وبشكل متزايد إلى الاهتمام بدراسة بنية التفاعلات الداخلية للمؤسسات التربوية والاقتصادية والاجتماعية. فالتفاعلات القائمة في قلب هذه المؤسسات تشكل المحرك الأساسي لفاعلية هذه المؤسسات وقدرتها على الإنتاج.

وإذا كانت إنتاجية هذه المؤسسات، كما تبين الأبحاث الجارية، مرهونة بمدى التفاعل الإيجابي بين مكوناتها فإن أهمية هذا التفاعل تفوق حدود الوصف في مجال المؤسسات التربوية والعلمية، وذلك لأن بنية التفاعل التربوي تشكل البوتقة التي يتكون فيها الإنسان ويتشكل.

التفاعل التربوي

يشير مفهوم التفاعل التربوي إلى طبيعة العلاقة التربوية واتجاهاتها. ويتمركز هذا المفهوم حول درجة التواصل بين أطراف العملية التربوية، كما أنه يشير إلى درجة تأثير وديناميكية العلاقة القائمة بين الأطراف المعنية، فالتفاعل في المدرسة هو حالة من التواصل العميق والشامل التي تتم بين مختلف أطراف العملية التربوية، بين الطلاب أنفسهم وبين الطلاب والمدرسين وبين المدرسين بعضهم بعضاً.

وينسحب ذلك على المناهج والإداريين والعاملين في ميدان الحياة المدرسية، ويأخذ التفاعل التربوي طابعاً رمزياً بالضرورة وهو الشرط الضروري لكل فعل تربوي وعلمي في المؤسسات التربوية بصفة عامة.

ويعد التفاعل التربوي في المؤسسة بمثابة الدورة الدموية في جسد هذه المؤسسة، وهو الإطار الذي تتعانق فيه كافة أطراف العملية التربوية، من مدرسين ومناهج وإدارة وتصورات ومقررات، لتشكل لحمة الحياة التربوية وسداها. وإذا كانت المؤسسة المدرسية تشكل نظاماً يقوم بوظائف تربوية فإن درجة التفاعل التربوي بين أقطاب العلاقة التربوية مؤشر سلامة العمل التربوي وفاعليته، ومؤشر لمدى تأدية هذه المؤسسة لوظيفتها ومهمتها على نحو سليم ومعافى. ونعني بالتفاعل التربوي درجة التوافق والانسجام والتكامل بين أطراف العملية التربوية، وعلى الخصوص بين أعضاء الهيئة التدريسية والطلاب. وعندما تأخذ العلاقة التربوية بين الطلاب وأعضاء الهيئة التدريسية اتجاها إيجابيا، نستطيع الإقرار بوجود درجة عليا من التفاعل التربوي. وعلى خلاف ذلك حين تأخذ هذه العلاقة اتجاها سلبياً.

ويتمثل التفاعل التربوي في النهاية في جملة العلاقات الاجتماعية التربوية القائمة في إطار المؤسسات التربوية التي تتيح لأطرافها (المدرسون والطلاب) درجة عليا من التوازن والتكافؤ والانفتاح وحرية التعبير والاستقلال

والاحترام المتبادل، وغياب الحواجز النفسية والثقافية والاجتماعية التي تعيق عملية التفاعل التربوي. وإذا كان الفعل التربوي نتاجاً لمنظومة متكاملة من العلاقات التربوية فإن هذه العلاقات تأخذ اتجاهات ومسارات متعددة تتحدد بطبيعة الشروط الموضوعية التي تحيط بالفاعلين في إطار الحياة التربوية. وإذا كانت العلاقات التربوية تتباين بتباين الحالات والظروف يترتب علينا أن نبحث في طبيعة هذه العلاقات وفي تجلياتها وفي مدى تأثيرها وآثارها التربوية.

ولابد لنا في هذا السياق أن ننوه ومنذ البداية أن الطالب هو العنصر الأكثر قابلية للتشكل بحكم الوضعية والدور الذي يشغله، فهو في نهاية الأمر غاية المؤسسة المدرسية وهدفها من حيث المبدأ وبالتالي فإن منظومة الفعاليات التربوية تتجه إليه وتعمل على بنائه بصورة واضحة. هذا ويمكن لنا أن نعرف التفاعل التربوي بأنه رد الفعل المتبادل الشفوي أو غير الشفوي المؤقت أو المتكرر وفق تواتر معين.

العلاقات التربوية

تشكل العلاقات التربوية محتوى ومضمون التفاعل التربوي، فالتفاعل يتم على أساس من العلاقات التربوية القائمة. والعلاقة التربوية هي مجموع الروابط الاجتماعية والعاطفية والعلمية التي تنشأ بين المعلمين والمتعلمين عبر مسارات مختلفة، وتتحدد بعدد من النواظم والضوابط الثقافية والاجتماعية والإدارية والأخلاقية التي يمليها المجتمع داخل المؤسسة التربوية.

وتبرز العلاقة التربوية الديمقراطية حيث تشكل الأجواء الديمقراطية المناخ المناسب لبناء علاقات تربوية تفاعلية ذات اتجاه إيجابي. وهي تتيح للطلاب والمتعلمين تحقيق التواصل الإيجابي ويتجلى ذلك في فعاليات الحوار والمناقشة والحق في الاعتراض وإبداء الرأي المخالف وتوجيه النقد الإيجابي.

فحرية الطالب لا تنتهي عند حدود حرية اختيار المدرسة أو الكلية بل تمتد إلى حرية المناقشة والنقد والاعتراض والتفكير والخروج على رأي الآخر، وهذا هو منطلق الديمقراطية التربوية وجوهرها.

كثير من الطلاب كرهوا مواد نقلت إليهم عبر مدرسين متسلطين، في حين أبدع آخرون في مواد تعلموها من أساتذة أحبوهم.

حرية الطالب لا تنتهي عند حرية اختيار المدرسة أو الكلية، بل تمتد إلى حرية المناقشة والنقد، وهذا هو منطلق الديمقراطية التربوية وجوهرها.

وتشكل العلاقات التربوية الديمقراطية أيضاً منطلق العطاء والإبداع في صوره المختلفة، وتلك هي حقيقة تاريخية أثبتتها التجربة الطويلة للحياة الإنسانية. فالعلم يتفتح ويزدهر في الأجواء الديمقراطية، وعطاء العقل كان دائماً وأبداً رهين أجواء الحرية، ومن هذا المنطلق يمكن القول إن الحضور الخلاق للعقل كان دائماً وأبداً مرهونا بالحضور الفاعل للحرية والديمقراطية.

الحرية والديمقراطية توأمان لا ينفصلان وذلك في الحدود الفلسفية. لقد تأكدت هذه الحقيقة الفلسفية في صورتها النفسية والتربوية وذلك على أثر الأبحاث والتجارب والدراسات التي فاضت بها العقول التربوية في غضون القرن العشرين. فبينما يؤكد منظرو التربية على أهمية الحرية في بناء العقل والتفكير تكشفت الأبحاث والدراسات في مستوى علم النفس أن تفتح العقل وبناء المعرفة أمران مرهونان بمعطيات الحرية التي يجب أن تسود المناخ التربوي الذي يحيط بالأطفال والناشئة.

ولابد لنا في هذا السياق من تحديد معنى ودلالة السلوك الديمقراطي في العمل التربوي. فالسلوك الديمقراطي كما يحدده مصطفى أحمد تركي في بحث له بعنوان «السلوك الديمقراطي» نشر في المجلد ٢٢ من مجلة عالم الفكر هو السلوك الذي ينطلق من عدة أسس منها المشاركة الاجتماعية والمساواة في هذه المشاركة، وفهم مشاعر الآخرين واهتماماتهم، وتقبل الآخرين على مبدأ المساواة، وعدم اللجوء إلى العنف أو الصراع والاعتماد على لغة الحوار والإقناع.

والسلوك الديمقراطي التربوي من وجهة نظرنا بالإضافة إلى التحديدات السابقة يأخذ أبعاداً قوامها: الاستقلال والحرية وتحقيق العدالة والمساواة والإحساس بها مجتمعة من قبل المعنيين بالعملية التربوية. وتبدأ مؤشرات السلوك الديمقراطي من الابتسامة وتعابير الوجه الوادعة إلى التشجيع والترحيب والقبول والدعم والمشاركة الوجدانية، وصولاً إلى بناء العلاقات الاجتماعية الهادفة.

إذا كانت علاقات التوحد identification تشكل واحدة من أهم العمليات الأساسية في تعلم الفرد وفي اكتسابه، فإن العلاقات الديمقراطية تشكل منطلق علاقات التوحد وأساسها لأنها تقوم بالضرورة على أساس عاطفي قوامه الحب والحنان والاحترام المتبادل بين أطراف العملية التربوية. فالمتعلم الذي يستطيع أن يعيش علاقة وجدانية مع معلميه يقبل على تمثل المعطيات العلمية والمعرفية التي تتصل بهم بطريقة مدهشة. وعلى خلاف ذلك لا يستطيع الطالب تمثل المعلومات والمعارف الصادرة عن هؤلاء الذين لا يشعر إزاءهم بالحب والاحترام.

وأشار أغلب الاتجاهات التربوية الحديثة إلى أن السلوك الديمقراطي في مجال التربية يؤدي إلى نمو القدرات الإبداعية عند الطلاب والمتعلمين عامة، ونمو الجوانب الانفعالية وتكامل الاتزان العاطفي، ونمو الجوانب الاجتماعية وتكاملها في شخص المتعلمين نمو الثقة بالنفس والإحساس بالاستقلال، ونمو الجانب المعرفي بصورة متسارعة ومتكاملة.

وتجد هذه الصورة الخاصة بنمو الطاقات والمواهب تأكيداً علمياً لها وذلك في الأبحاث العلمية الجارية في هذا الميدان. وفي هذا المستوى يذكر تركي أحمد في بحثه سالف الذكر أن موللر ولف Muller Wolf أشار في بحث له حول سلوك المدرس الديمقراطي أن سلوك المدرس الديمقراطي يؤدي إلى نمو الإبداع والاستقلالية والاتزان العاطفي والميول الاجتماعية عند الطلاب. وعلى خلاف ذلك

فإن سلوك المدرس المتسلط يؤدي إلى انخفاض الدافعية لديهم وضعف القدرة على التركيز ويعزز ميلهم إلى الثورة والغضب.

فالأجواء الديمقراطية تتيح للمعلم ليس أن يعلم فحسب، بل أن يتعلم عبر حواره مع التلميذ، وتتيح للتلميذ أن يكون معلماً في الوقت الذي يتعلم فيه. والمعلم في إطار هذه العلاقة لا يسجل حضوره كأستاذ فحسب، بل يكون حاضراً بكل وجوده الإنساني، وهو يستطيع أن يفرض بالتالي سلطته عندما يضع هذه السلطة في خدمة طلابه.

العلاقات التسلطية

يقوم التسلط على مبدأ الإلزام والإكراه، وعلاقات التسلط هي العلاقات التي يتم بموجبها خضوع طرف لإرادة طرف آخر بالقوة. ونعني بالتسلط التربوي الميل إلى استخدام العنف في العمل التربوي، فالعلاقة التسلطية سلوك ينطوي على العنف والإكراه، ويتنافى كلية مع معطيات وأسس السلوك الديمقراطي الذي أشرنا إليه سابقاً. ويأخذ هذا العنف صورة رمزية في المراحل العليا من التعليم (المرحلة الجامعية) مثل منع الطلاب من الإعلان عن وجهات نظرهم، أو من توجيه النقد، أو إبداء الرأي المخالف، وهذا ما يمكن أن يطلق عليه التسلط المعرفي، والذي يمكن تعريفه بأنه فرض الآراء والأفكار على الآخرين.

وعلى أساس المقارنة مع تحديدات السلوك الديمقراطي يمكننا تحديد العلاقات التسلطية في صورة الأبعاد التالية:

- يقوم السلوك التسلطي على أساس التباين واللامساواة (المدرس - الطالب).
- يتم اللجوء إلى العنف بأشكاله المادية والرمزية المختلفة، ويتجلى ذلك في صورة عقوبات مختلفة: مثل التهديد والتوبيخ.
- يقوم على المجافاة الانفعالية والعاطفية بين المدرسين والطلاب، وذلك يعني غياب العلاقات الودية التي تجمع بين الطرفين أو بين أطراف العملية التربوية عامة.
- لا يسمح للطلاب أو المتعلمين عامة بإبداء آرائهم أو توجيه انتقاداتهم، ولا تؤخذ آراؤهم بعين الأهمية والاعتبار من قبل المدرسين.

ومن أبعاد العلاقات التسلطية وجود أجواء الخوف وانعدام الثقة بين المدرسين والطلاب، واللامبالاة التي تتجسد في الهوة التي تفصل بين الطرفين.

وغني عن البيان أن علاقات التسلط تقوم على أساس من الممارسات القمعية، التي تبدأ بأبسط الإيحاءات وصولاً إلى أكثرها شدة وفظاظة،

التخلف يكافئ التسلط، والتسلط يكافئ الجمود والعطالة، والمجتمعات التقليدية تقوم على علاقات الرضوخ والعنف والإكراه.

تشكل التفاعلات الداخلية بين مكونات المؤسسة التربوية، المدرسين والطلاب والإداريين، المحرك الأساسي لفاعلية هذه المؤسسة وقدرتها على الإنتاج.

والأبسط تبدأ بتعابير الوجه المتجهمة وتتدرج في سلم نظرات الازدراء والتجريح والاحتقار. ومن أشكال السلوك التسلطي يمكن الإشارة إلى عدم الهزء والسخرية والتهكم، وأحكام الدونية والتخجيل، والإحباط والازدراء والإهمال وعدم الاحترام وعدم التقدير إلخ..

نتائج السلوك التسلطي

يمكن للتعليم أن يكون أداة لترويض الناس، كما يمكنه أن يكون أداة لتحريرهم، وإذا كانت العلاقات الديمقراطية أداة التربية في تحرير الإنسان، فمما لا شك فيه أن علاقات التسلط هي أداة التربية في ترويض الناس وتكريس عبوديتهم.

فالعلاقات التسلطية تؤدي إلى منظومة من النتائج السلبية على المستوى التربوي، وتؤدي على الأغلب إلى هدم الشخصية، وإلى تكوين عقد النقص والدونية والقصور والسلبية في نفوس المتعلمين سيما في المراحل الأولى للتعليم.

وإذا كانت العلاقات الديمقراطية تؤدي إلى بناء الشخصية الإيجابية نفسيا وانفعاليا واجتماعياً فإن علاقات التسلط تؤدي في جملة ما تؤديه، إلى فقدان الاتزان الانفعالي وبناء الشخصية السلبية. وغني عن البيان أن قدرات الطلاب على التفكير والمبادهة والنقد تنخفض بدرجة واضحة في الأجواء التي تسيطر فيها أجواء القسر والإكراه.

وتشير التجارب الحياتية أن كثيراً من الطلاب باتوا يكرهون المواد العلمية التي نقلت إليهم عبر مدرسين متسلطين في أساليب تعاملهم، وعلى خلاف ذلك كثير هم هؤلاء الذين أبدعوا في مواد علمية لأنهم تعلموها من أساتذة أحبوهم. وتبين التجربة أيضاً أن الأطفال وحتى الراشدين يصابون بالعطالة الفكرية، وعدم القدرة على التفكير أمام مدرسيهم أو آبائهم الذين عرفوا بتسلطهم وقسوتهم، والأدهى من ذلك كله أن هؤلاء الأشخاص، وبتأثير التعميم، يفقدون توازنهم الانفعالي أمام رؤسائهم في العمل، وخاصة في المواقف التي تتطلب نوعا من التوازنات الانفعالية والسلوكية. وهذا يعني أن العطالة النفسية تأصلت في نفوسهم وهم ضحايا تسلط تربوي أفقدهم القدرة على التكيف بصورة دائمة.

كما تشير الخبرات العلمية اليوم أن الإنسان لا يستطيع أن يتعلم جيداً في أجواء الخوف والإرهاب، وبالتالي فإن الخوف الناجم عن علاقات التسلط يؤدي إلى تعطيل القوى العقلية

تذهب الخبرات العلمية اليوم إلى أن الخوف الناجم عن التسلط يؤدي إلى تعطيل القوى العقلية عند الإنسان كالانتباه والذاكرة والقدرة على التحليل والتركيب.

عند الإنسان، مثل الانتباه والذاكرة والتفكير والقدرة على التحليل والتركيب.

هذا وتتغلغل علاقات التسلط في نسيج الذهنية المتخلفة، على حد تعبير مصطفى حجازي في كتابه (التخلف الاجتماعي) الصادر عن معهد الإنماء العربي ببيروت ١٩٨٩، فالتخلف يكافئ التسلط والتسلط يكافئ الجمود والعطالة، وبالتالي فإن المجتمعات التقليدية تقوم على أساس علاقات الرضوخ والعنف والإكراه.

التفاعل التربوي والحياة الاجتماعية

يعكس كل نظام تربوي جملة الروابط الاجتماعية للمجتمع الذي ينتمي إليه، ومن هذا المنطلق يمكن القول إن العلاقات التربوية السائدة في المؤسسات التربوية انعكاس للروابط الاجتماعية التي تضرب جذورها في المجتمع.

إن إدراك طبيعة العلاقة التربوية، وعمليات التفاعل التربوي التي تتم في إطار المؤسسات التربوية، مرهون إلى حد كبير بإدراك جدل العلاقة القائمة بين هذه المؤسسات والحياة الاجتماعية، وبما تشتمل عليه من أنظمة وأنساق وفعاليات اجتماعية واسعة التنوع فالمؤسسات التربوية كما يرى عالم الاجتماع دور كهايم في كتابه (التعليم والمجتمع) صورة مصغرة للمجتمع الكبير الذي أنتجها، وهي بذلك تحمل خصائصه وسماته الأساسية، وبالتالي فإن وظائف هذه الأنظمة لا تخرج عن كونها أداة المجتمع في الاستمرار والديمومة وفقا لقوانين وجودها الخاصة.

ووظائف المؤسسات المدرسية كما يرى (بودلو واستابليه) تكمن في إعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية السائدة اجتماعياً، ولذلك فإنهما ينظران، في كتابهما (المدرسة الرأسمالية في فرنسا) إلى المؤسسة التربوية الفرنسية، بوصفها أداة إعادة إنتاج العلاقات الرأسمالية في المجتمع الفرنسي. وما يطرحه هذان المفكران يشكل محورا أساسياً لأطروحات (بيير بورديو) في كتابه المعروف (إعادة الإنتاج) و(إليتش) في كتابه (مجتمع دون مدرسة) وكلاهما ينظر إلى المدرسة والمؤسسات التربوية بوصفها أدوات سياسية اجتماعية تهدف إلى تكريس الأنظمة الاجتماعية القائمة، وإلى إعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية السائدة.

لقد بينت هذه الأطروحات الفكرية والتربوية كما يرى (جورج سنيدر) في كتابه (المدرسة والطبقة وصراع الطبقات) طبيعة العلاقة بين المدرسة والمجتمع، حيث كشفت وجود وظائف متعددة للمؤسسات التربوية لا تقف عند حدود نقل المعارف والعلوم إلى الناشئة والطلاب، بل هي بالدرجة الأولى مؤسسات تجري فيها صياغة الكائن الاجتماعي على صورة المجتمع الذي يعيش فيه (سنيدر).

كما بينت هذه الأطروحات أن آليات صياغة الإنسان في المؤسسات التربوية ليست مرهونة بأي حال من الأحوال بالعملية التربوية في جانبها المعرفي الذي يتعلق بنقل المعلومات والمعارف إلى الناشئة، بل إن ذلك مرهون إلى حد كبير بطبيعة العلاقات التربوية السائدة في إطار هذه المؤسسات، وبطبيعة التفاعل الذي تقتضيه معايير وأنماط هذه العلاقات التربوية. فالمؤسسة التربوية لا تقف عند حدود نقل أكداس المعارف، لأن هذا لا يشكل في نهاية الأمر سوى إحدى وظائفها الأساسية، المتنوعة والمتعددة، ذلك أن المؤسسة التربوية مجتمع مصغر يتميز بنظامه الخاص وفعالياته الخاصة، وجملة هذه الفعاليات تشكل أنماطا مصغرة لفعاليات المجتمع الكبير.

وفي الوقت الذي يجري فيه البحث عن طبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة في المجتمع والتفاعل الاجتماعي القائم، فإن العلاقة التربوية والتفاعل التربوي في إطار المؤسسات التربوية يشكلان صورة مصغرة لما يجري في إطار المجتمع الكبير. ولكن خصوصية وأهمية هاتين الفعاليتين التربويتين تكمن في دور كل منهما في تكريس ما هو قائم في المجتمع وإعادة إنتاجه وفي الوقت الذي تشكل فيه العوامل التربوية، مثل المقررات والمناهج وطرق التدريس والطلاب والمدرسين والإدارة، العوامل الأساسية في كل عمل تربوي فإن مكان هذه العوامل كمكان الجسد من الروح في العملية التربوية، وهذا يعني أن العلاقة التربوية تمثل مبدأ الحياة الذي يربط بين أطراف العملية التربوية.

أحمد بن محارب الظفيري

أَظْمَاء الإِبِل

الظِّمْء - في اللغة العربية الفصحى: - هو المدة المحصورة بين الوِرْدَيْن، وجمعه: أَظْماء. وينطقه البدو الحاليون «الظِّمْي». وفي معاجم «الظِّمْي» و«الظِّمْو»: لغة في الظِّمْء.

الاظماء «مواقيت الوِرْد» رتبها وصممها البدو الخلص أهل الصحراء لإبلهم التي تعيش معهم في بيئتهم الصحراوية، والتي هي عماد حياتهم ومحور نشاطهم البشري. وتسمى هذه الإبل الصحراوية في كلام البدو المعاصرين وفي اللغة العربية الفصحى: «إبل جوادا أو إبل جودية» و«جمل جودي» و«ناقة جودية» و«الجود» في اللغة العربية الفصحى من معانيه: العطش والجوع والصبر عليهما.

أما الإبل التي تعيش في المدن والأرياف والواحات (إبل أهل الحاضرة) والتي تكون قريبة من المياه على الدوام، فتسمى في كلام العرب المعاصرين وفي اللغة العربية الفصحى: «إبل خواوير أو إبل خوارة»، يقال: «جمل خوار» و«ناقة خوارة» و«الخور» في اللغة العربية الفصحى من معانيه: الرقة واللين والضعف والإبل الخوارة على عكس الإبل الجودية لا تحتمل العطش كثيراً بسبب نشأتها قرب المياه وتعودها على شرب الماء وأكل الأعلاف المنزلية.

في الربيع الإبل جوازٍ

في الربيع يطلق البدوي في جزيرة العرب، على إبله اسم «الجوازي» فهي جازيه عن الماء، أي لا تشرب الماء، وتستعيض عنه بالعشب والشجر والحشيش الأخضر الرطب النابت في الفلاة، وفي هذه الحالة فإن البدوي لا يحتاج إلى تنظيم مواقيت لإبله لورود الماء (وهذه المواقيت يسمونها أظماء الإبل)، وقد تصل مدة جزئها عن الماء إلى ثلاثة أشهر أو أكثر إذا كان الربيع طيباً. وفي نهاية الربيع، وبداية دخول الصيف، ينصرم العود الأخضر بفعل حرارة الشمس المتزايدة، وحينئذ تنقض الإبل الجزء وترجع إلى شرب الماء ويسمى البدو والحاليون فترة التحول هذه بـ«نقضة الجزو» فإبلهم نقضت الجزء عن شرب الماء وبدأت بشربه، وعليهم تنظيم مواقيت أظماء الإبل.

ولو رجعنا إلى معاجم لغة العرب لوجدناها تقول:

الجزء أو الجزء: سمي بذلك لأن الإبل تجزأ فيه بالكلأ أيام الربيع فلا ترد الماء.

الجوازي أو الجوازي: تعني الظباء وبقر الوحش (المها)، والحيوانات المتوحشة عموماً التي جزأت بالرطب عن الماء. يقال: ظبية جازية او جازئة أي استغنت بالكلأ الرطب عن الماء.

واسم «الجازي» من اسماء النساء الشائعة عند عرب الجزيرة، ويريدون بالاسم «الظبية» فالظباء جوازي.

وهذا شاعر من عرب الجاهلية، يصف احد اصحاب الإبل (يسمى:آبل) بالشدة والقسوة مع الإبل، فهو لا يدعها تنقض الجزء على الرغم من حرارة الجو، ولكنه يسكنها (يجبرها) على الرعي حتى آخر عود أخضر .. يقول الشاعر:

يسنها آبل ما إن يجزئها
جزءاً شديداً، وما إن ترتوي كرعا

في أول الصيف: أظماء الإبل سبع وسدس

في أول الصيف عادة، تكون حرارة الشمس متوسطة، ويوجد في المرعى بقايا من الكلأ (العشب والشجر) الرطب، لذلك يستخدم البدوي لورد إبله مواقيت طويلة نسبياً هي: اظماء السبع والسدس.

وجاء في معجم «لسان العرب» لابن منظور (ت: ٧١١هـ- ١٣١١م) تحت مادة «سبع»: السبع، بالكسر، الورد لست ليال وسبعة أيام، وهو ظمء من أظماء الإبل، والأبل سوابع والقوم مسبعون، قال الأزهري: وفي أظماء الإبل السبع، وذلك إذا أقامت في مراعيها خمسة أيام كواصل ووردت اليوم السادس ولا يحسب يوم الصدر وأسبع الرجل: وردت إبله سبعاً.

وجاء في «لسان العرب» لابن منظور، تحت مادة «سدس»: السدس، بالكسر: من الورد بعد الخمس، وقيل: هو بعد ستة أيام وخمس ليال، والجمع أسداس. قال الجوهري: والسدس من الورد في اظماء الإبل ان تنقطع خمسة وترد السادس. وقد أسدس الرجل أي وردت إبله سدساً.

- ملاحظة مهمة: اللافت للنظر ان بعض معاجم اللغة وكتب التراث تخلط في عدد أيام اظماء الإبل، وبعضها يخطئ في ترتيب أيام الظمء، فتجعل القارئ في حيرة ولبس من الأمر، وبما أن البداوة عند العرب الاوائل هي ذاتها لم تتغير عند العرب الأواخر، فسنشرح الأمر ونجعله جلياً واضحاً.

شرح ظمء السبع

نفترض يوم الورد هو يوم السبت، الإبل في نهار هذا اليوم مازالت في المرعى (البر) مع راعيها، وهي تتقرب تدريجياً الى مضارب العربان حيث قلبان (آبار) المياه التي ستردها في عصر أو مغرب شمس هذا اليوم (السبت). ويسمى العرب الأوائل والأواخر فترة التقرب هذه بـ«وقت القرب» وهذا ما عناه أبو الطيب المتنبي حينما قال:

ما كان أقصر وقتاً كان بينهما
كأنه الوقت بين الورود و«القرب»

- نهار يوم السبت: يسمونه:«نهار الورد» ويسمون راعي الإبل «وارد». في المغرب أو العصر وصلت الإبل إلى قلبان المياه وشربت الماء، وحول هذه القلبان (الآبار) يقطن العرب أصحاب الإبل.
- ليلة السبت يسمونها: «ليلة الورد» أو «ليلة الخمير» ويسمون الإبل «خمارة» وراعيها «خمار». الإبل تخمر حول البئر، وراعيها يخمر عند أهله. ليلة الخمير - باللغة العربية - ليلة الراحة والسكون. يقال: خامَرَ الرجل بيته.

وخمرة: لزمه فلم يبرحه، وكذلك خامر المكان، أنشد ثعلب:

وشاعر يقال خمرة في دعه

وفي الحديث الشريف:(لا تجد المؤمن إلا في إحدى ثلاث: في مسجد يعمره، أو بيت يخمره، أو معيشة يدبرها).. يخمره أي يستره ويصلح من شأنه.

- نهار الأحد: أصبح الصباح والإبل باركة حول البئر (يسمونه القليب) ويطلقون على الإبل: «إبل عطين» و «إبل معطنة» وفي اللغة، يقال: عطنت الإبل: إذا رويت من الماء ثم بركت حول البئر لتعاد الى الشرب مرة أخرى ومعطن الإبل هو مبركها حول البئر وفي الصحن: تتزود الإبل من شرب الماء، وتستريح بعض الوقت حول البئر ثم يناديها راعيها فتتبعه ويقودها إلى الصحراء (الفلاة)، وتسمى الإبل في هذه الحالة: «إبل صدير» أو«إبل مصدرة» ويسمون راعيها «مصدر» أو «صادر» ويسمون نهار الأحد بـ«نهار الصدر» وليلته بـ«ليلة الصدر».

ففي هذا اليوم «الأحد» الإبل ممتلئة بطونها بالماء، وتسير الهوينى في الصحراء خلف راعيها الذي يسوقها بحدائه الشجي متجهاً بها إلى المراعي البعيدة عن الآبار ومضارب العربان. واليوم هو «يوم الصدر».

«الصدر» بكسر الصاد وتسكين الدال، او «الصدر» بفتح الصاد والدال - في اللغة العربية: هو نقيض الورد، أي الانصراف عن الورد. يقال: أورد إبله وصدرت فهو صادر.

- يوم الاثنين: يسمون هذا اليوم بـ«يوم الغب الأول» ويسمون نهاره بـ«نهار الغب الأول» ويسمون ليلته بـ«ليلة الغب الأولى) ويسمون الإبل بـ«الإبل المغبة» ويسمى راعي الإبل بـ«المغب» وهذه المسميات تبقى ذاتها في كل أيام الغب، وهي الأيام التي تنقطع فيها عن الماء لترعى في الصحراء ولو رجعنا الى معاجم لغة العرب لوجدناها تقول عن «الغب»:

غب: بمعنى تأخر وبعد وغاب. يقال: غبت الإبل تغبت غباً إذا شربت غبا بعد أيام الظمء، فهي ترعى غباً وترد ربعاً او خمساً أو سبعاً.

ويقال: غب الرجل عن القوم، إذا جاء زائراً لهم يوماً بعد أيام، ومنه قولهم: «زرغباً تزدد حباً»، قال ابن الاثير: نقل الغب من أوراد الإبل إلى الزيارة. والغبة: صاحبها يرجع. أما الغيبة: صاحبها قد لا يرجع.

- يوم الثلاثاء: لا تزال الإبل في حالة الغب، فهي في المرعى بعيدة عن أهاليها. فنهار الثلاثاء هو

«نهار الغب الثاني» وليلة الثلاثاء هي «ليلة الغب الثانية» ويوم الثلاثاء هو «يوم الغب الثاني» والإبل «مغبة» وراعيها «مغب».

- يوم الأربعاء: هو يوم «الغب الثالث». والإبل مع راعيها تتجول في الصحراء طلباً للكلأ «العشب الشجر» يابساً او رطباً، ولا تنس أن ظمأها سبع، وهذا يعني أنها في بداية الصيف.
- يوم الخميس: هو يوم «الغب الرابع»
- يوم الجمعة: هو يوم «الغب الخامس» وهو آخر أيام الغب في ظمء السبع.

يوم السبت: هو يوم الورد

راجع اليوم الأول من أيام الظمء «يوم السبت: الورد الأول» الآن اكتملت دورة ظمء السبع. ومن الشرح أعلاه نستنتج أن ظمء السبع «يسميه البدو الحاليون: ظمي السبع» يتكون من الأيام التالية:-

يوم الورد، ثم يوم الصدر، ثم أيام الغب الخمسة، وهي الأيام التي تغب فيها الإبل عن الماء، أي تغيب فيها عن الماء بسبب وجودها في الصحراء بعيداً عن الآبار طلباً للكلأ (الغذاء).

واللافت للنظر أن أجدادنا العرب الأوائل وتبعهم العرب الأواخر أضافوا يومي الورد والصدر إلى أيام الغب الخمسة فصار المجموع سبعة أيام، فسموا ظمأهم هذا بـ«ظمء السبع» لاحظ أننا نحسب أحد يومي الورد إما السبت الأول أو السبت الأخير، لأن الظمء هو الأيام المحصورة بين صدر الماء وحتى الورد عليه مرة أخرى.

في القيظ: أظماء الإبل خمس وربع

في بداية دخول القيظ، يكون ظمء الإبل خمساً، وإذا دخل بحرارته الشديدة يصبح ظمء الإبل ربعاً، وهو أقصر أظماء الإبل، لأنها لا تحتمل الصبر على العطش مدة أطول من أيام هذا الظمء، وظمء الخميس من أشأم الأظماء وعند العرب، لانهم لا يظمئون في القيظ أكثر منه، والإبل في القيظ لا تقوى على أطول منه، وهو شديد على الإبل.

وجاء في معجم «لسان العرب» لابن منظور (ت٧١١هـ/ ١٣١١م) تحت مادة «خمس»: الخمس - بكسر الخاء وسكون الميم: من أظماء الإبل أن ترعى ثلاثة أيام وترد اليوم الرابع. قال الليث: والخمس: شرب الإبل يوم الرابع من يوم صدرت لأنهم يحسبون يوم الصدر فيه، قال الأزهري: هذا غلط لا يحسب يوم الصدر في ورد النعم، والخمس: أن تشرب يوم وردها وتصدر يومها ذلك وتظل بعد ذلك اليوم في المرعى ثلاثة أيام سوى يوم الصدر، وترد اليوم الرابع، وذلك الخمس....

وجاء في «لسان العرب» لابن منظور، تحت مادة «ربع»:

الربع - بكسر الراء وسكون الباء - الظمء من أظماء الإبل، وهو أن تحبس الإبل عن الماء أربعاً ثم ترد الخامس، وقيل: هو أن ترد الماء يوماً وتدعه يومين ثم ترد اليوم الرابع، وقيل: هو لثلاث ليال وأربعة أيام.

ونحن نقول: إن من يقرأ معاجم اللغة وكتب التراث العربي في شرحها لأظماء الإبل يجد أنها مختلفة في ترتيبها لأيام الظمء، والسبب في ذلك أن مؤلفي هذه الكتب أكثرهم من أهل الحواضر وبعضهم أعاجم، ويكتبون ما سمعوه من أصحاب الرواة ولم يعيشوا حياة الصحراء كبداة أهل إبل وعمد.

شرح ظمء الخمس

- يوم السبت (أول أيام الظمء): نفترض أن الإبل وردت الماء في عصر يوم السبت: فنهار هذا اليوم هو «نهار الورد» وليلته هي «ليلة الورد» والإبل هي «إبل وارده» وراعيها هو «وراد» أو «وارد».

وفي الفترة ما بين العشاء ومنتصف الليل ارتوت الإبل وبركت حول البئر أو قرب بيت أهلها، فتسمى «إبل خمارة» وراعيها «خمار» والليلة هي «ليلة الخمير» فالإبل خمرت وراعيها خمر أي الجميع استقر وسكن ولزم مكانه ولم يبرحه بعد عناء التعب والتجول في فلوات الصحراء، وهذا هو معنى الخمر والتخمر في هذا المجال من لغة العرب.

- يوم الأحد (ثاني أيام الظمء): ويسمونه «يوم الصدر» ففي ضحى هذا اليوم تصدر الإبل عن الآبار وتغادر مضارب العربان متجهة الى الفلاة (المرعى) سائرة خلف راعيها الذي يغني لها أحديتها التي تعرف لحنها. وتسمى الإبل «إبل صدير» او «إبل مصدره» أو «إبل صادره» ويسمى راعيها «مصدر» أو «صادر» ويسمى نهار هذا اليوم بـ«نهار الصدر» وليلته بـ«ليلة الصدر» والمسميات عربية فصيحة.
- يوم الاثنين (ثالث يوم من أيام الظمء): ويسمون هذا اليوم بـ«يوم الغب الأول» ونهاره بـ«نهار الغب الأول» وليلته بـ«ليلة الغب الأولى» ويسمون الإبل «إبل مغبة» ويسمون راعيها «مغب».
- يوم الثلاثاء (رابع يوم من أيام الظمء): وهو «يوم الغب الثاني» ونهاره هو «نهار الغب الثاني» وليلته هي «ليلة الغب الثاني» أو «ليلة الغب الثانية» والإبل «مغبة» وراعيها «مغب».
- يوم الأربعاء (خامس يوم من أيام الظمء): وهو «يوم الغب الثالث» ونهاره هو «نهار الغب الثالث» وليلته هي «ليلة الغب الثالثة» والإبل «مغبة» وراعيها «مغب» ويوم الاربعاء هو آخر أيام الظمء الخمس، فالذي يليه هو يوم الورد الثاني ولا نحسبه لأننا حسبنا يوم الورد الأول (يوم السبت).
- يوم الخميس: سادس يوم ولا نحسبه من أيام الظمء وهو (يوم الورد الثاني) في هذا اليوم ترد الإبل على الماء - راجع أول يوم من أيام الظمء - المسميات هي ذاتها المذكورة في يوم السبت أول أيام ظمء الخمس (يوم الورد الأول) إذا حسبنا يوم الخميس فيجب أن نهمل يوم السبت ونبتدئ أيام الظمء من يوم الأحد (يوم الصدر).

شرح ظمء الربع

- ظم الربع، أقصر أظماء الإبل، ووقته في القيظ (حمارة الصيف) شدة حرارة الصيف، وتجعل العرب القيظ من طلوع النجم «الثريا» إلى طلوع سهيل اليماني.
- اليوم الأول: يوم الورد: الإبل في الصحراء،

تتقرب إلى المياه وسوف ترد الماء في عصر أو مغرب شمس هذا اليوم.

(المسميات هي ذاتها المذكورة سابقاً مع شرح الأظماء)

- اليوم الثاني: هو يوم الصدر: الإبل صدرت من الماء وراحت إلى الصحراء لطلب المرعى. والمسميات كما هي في الأظماء السابقة.
- اليوم الثالث: هو يوم الغب الأول. والمسميات كما هي في الأظماء السابقة
- اليوم الرابع: هو يوم الغب الثاني. والمسميات هي نفس المسميات السابقة.
- اليوم الخامس: هو يوم الورد.
- ملاحظة: نهمل أحد يومي الورد إما الأول أو الأخير فيصير مجموع الأيام أربعة وهي أيام ظمء الربع، بكسر الراء.

في الخريف: أظماء الإبل سدس وسبع

وزمان الخريف هو ما بين الصيف والشتاء، أي من آخر القيظ وأول الشتاء، وسمي خريفاً لأنه تخرف فيه الثمار أي تجتني. واسم الخريف متداول عند عرب الجزيرة ولكن الاسم الشائع عندهم هو «الصفري» حيث تصفر فيه أوراق الأشجار والنباتات فيميل لونها إلى الصفرة، والاسم فصيح ذكرته معاجم اللغة فهي تقول: الصفري: ما بين تولي القيظ إلى إقبال الشتاء، وقال أبو زيد: أول الصفري طلوع سهيل وآخره طلوع السماك، وقال أبو حنيفة: الصفرية تولي الحر وإقبال البرد.

في الشتاء: أظماء الإبل ثمن وتسع وعشر

جاء في «لسان العرب» لابن منظور، تحت مادة «ثمن»:

الثمن، بالكسر: الليلة الثامنة من أظماء الإبل. وأثمن الرجل إذا وردت إبله ثمناً، وهو ظمء ومن أظمائها.

وجاء في «لسان العرب» لابن منظور، تحت مادة «تسع»:

التسع، بالكسر، من أظماء الإبل: أن ترد إلى تسعة أيام، والإبل تواسع وأتسع القوم فهم متسعون إذا وردت إبلهم لتسعة أيام وثماني ليال.

وجاء في (لسان العرب) لابن منظور تحت مادة «عشر»:

العشر، بالكسر: ورد الإبل اليوم العاشر. وفي حسابهم: العشر التاسع فإذا جاوزوها بمثلها وظمؤها عشران، والإبل في كل ذلك عواشر أي ترد الماء عاشراً. وقال الجوهري: والعشر ما بين الوردين، وهي ثمانية أيام لأنها ترد اليوم العاشر، وليس لها بعد العشر اسم إلا في العشرين، فإذا وردت يوم العشرين قيل: ظمؤها عشران، وهو ثمانية عشر يوماً، فإذا جاوزت العشرين فليس لها تسمية، وهي جوازئ.

والشيء الذي يجب التنبيه عليه، هو أن أظماء الشتاء تختلف عن بقية الأظماء بالآتي: أن الإبل قد لا ترد إلى الآبار، وإنما تكتفي بورد الغدران والخباري (المستنقعات) المبثوثة في الصحراء بعد سقوط الأمطار، وتواصل الظمء الثاني متجولة في الصحراء لترعى خميس العشب وأعواد الشجر ورمام الصمعاء.

أظماء الإبل في الموروث العربي

جاء في كتاب (أخبار أبي القاسم الزجاجي): تحقيق الدكتور عبدالحسين المبارك: ضرب أخماساً لأسداسٍ: وأصل المثل ان رجلاً كان له بنون يرعون مالاً له، وكان لهم نساء فكانوا يقولون لأبيهم: إنا نرعى سدساً فيرعون خمساً ويسرقون يوماً يأتون فيه نساءهم، وكذلك كانوا يقولون في الخامس فيرعون رابعاً ويسرقون يوماً ففطن لهم فقال:

وذلك ضرب أخماسٍ أريدت
لأسداسٍ عسى ألا تكونا(١)

وذكر ابو الفضل احمد بن محمد الميداني (ت ٥٨١هـ-١١٢٤م) في كتابه «مجمع الأمثال»: «ضرب أخماساً لاسداس»: الخمس والسدس: من أظماء الإبل، والأصل فيه أن الرجل إذا أراد سفراً بعيداً عود إبله أن تشرب خمساً، ثم سدساً، حتى إذا أخذت في السير صبرت عن الماء، والمعنى أظهر أخماساً لأجل أسداس: أي رقى إبله من الخمس إلى السدس.

يضرب لمن يظهر شيئاً ويريد غيره (٢).

وجاء في معجم «لسان العرب» لابن منظور (ت٧١١هـ-١٣١١م) تحت مادة «خمس» الأبيات الشعرية الآتية:

أنشد إبن الأعرابي لرجل من طيء:

الله يعلم لولا أنني فرق
من الأمير، لعاتبت ابن نبراس
في موعد قاله لي ثم أخلفه،
غداً ضرب أخماسٍ لأسداس!
أجلت مخيلته عن لا، فقلت له:
لو ما بدأت بها ما كان من باس!
وليس يرجع في لا، بعد ما سلفت
منه نعم طائعاً، حر من الناس

١) راجع: أخبار أبي القاسم الزجاجي، تحقيق الدكتور عبدالحسين المبارك، دار الرشيد، بغداد ص ١٤٥

٢) راجع: مجمع الأمثال للميداني ٤١٨/١، دار الفكر، بيروت.

رابعة بركات

المقاومة

منذ أن أبصرت عينا الفتى بدر القطامي النور في فريج (غنيم) على ساحل مدينة الكويت العاصمة امتزجت في ذاكرته تلك البيئة الكويتية البسيطة في كل شيء، المتواضعة برجالها ومواردها وخيراتها، الكبيرة بعطائهم وكدهم وسعيهم ونشاطهم.

ترعرع القطامي في أحياء الكويت القديمة (غنيم) و(سعود) و(السبت) وعاش أحداثها ووقائعها وتفاصيلها اليومية، وعايش سكانها وأهلها، وشاهد مناشطهم وأعمالهم، واستمع إلى أحاديثهم ورواياتهم، وخالط كبارهم وصغارهم، ونساءهم ورجالهم، فتكونت لديه صورة متميزة عن هذا المجتمع، وتجمعت لديه رؤية واضحة عن ماضيه وحاضره، وربما عن مستقبله.

وعندما انطلق القطامي بفنه في الستينات من القرن العشرين كانت تلك البيئة المحور الأساسي لفنه، وشكلت الهوية الكويتية حدثاً حاضراً في جميع أعماله حتى اعتبر بحق (فنان الديرة الكويتية).

ويعد بدر القطامي من فناني المدرسة الواقعية، وهو مؤمن بفنه، محب وعاشق للتراث الكويتي، إذ لا يزال يحتفظ بكثير من رموزه، كدلة القهوة، والسدو والبرمة وغيرها من الأشياء المتنوعة المعبرة عن ذلك التراث، ويحيط نفسه بها لتكون مصدر إلهاماته، وموضوعاً للتعبير عن مشاهداته وهو - إلى جانب ذلك كله - يعتز كثيراً بهويته العربية.

ولقد استطاع القطامي تحويل مساره الفني إلى أعمال بصرية ناجحة، تشهد بمهارته في التلوين، وبالتقاط كل ما يخدم لوحاته من التراث، تلك التي حققت تلازماً بين الظل والضوء، وتلاؤما وانسجاماً بين الخامة الفنية ودقة التنفيذ، وتجلت هذه القدرات مجتمعة

- د. خليفة الوقيان: القطامي يتنفس حب الكويت ببحرها وبرها وسمائها، بأسماكها وأعشابها وطيرها.
- فاطمة حسين: وقف وقفة الأبطال بفنه حين صور مقاومة الكويتيين لجار الغدر والعدوان.

تشرب كل تفاصيل البيئة، وعايش هموم واهتمامات ورؤى المواطنين منذ أواسط القرن العشرين، فتجذر حب الكويت في أعماقه وتنامى، الأمر الذي ألهب ردة فعله على الغزو العراقي الغادر، فجاءت لوحاته عابقة بالإصرار والصمود والتحدي، ناضحة بالهمجية التي سطرها الاحتلال على كل شبر من أرض الكويت وكل بيت من بيوتها.. إنه فنان الديرة.. التشكيلي بدر القطامي.

في لوحات عاشق الديرة ... بدر القطامي

الكويتية بريشة من نور ونار

في رسومه بالفحم والقلم الرصاص، وفي حرصه الشديد على البقاء في إطار خصائص وسمات المدرسة الواقعية التي ينتمي إليها.

نقطة تحول

وما من شك في أن الكارثة التي أحدثها الغزو العراقي للكويت في أغسطس عام ١٩٩٠ أثرت في جميع أبناء الكويت، ومنهم الفنان بدر القطامي، بسبب الآثار والأضرار الهائلة التي اكتوى بنيرانها المجتمع وأبناؤه والمنطقة بكاملها.

والفنان القطامي الذي ظل عاشقاً لأرضه متمسكاً بترابه، آثر أن يبقى صامدا على أرض هذا الوطن، متحملاً كل تبعات الغزو وآثاره فبقي طوال مدة الغزو في الكويت ولم يغادرها قط.

أبدع الإنسان، على كل عشقه، فكانت هذه الأعمال التي ربما تمثل ردة الفعل الأولى التسجيلية للغزو وآثاره.

أما فاطمة حسين فقالت عنه: وقف القطامي وقفة الأبطال بفنه، حين صور مقاومة الكويتيين لجار الغدر والعدوان حتى تحررت الكويت، ووصلت الشرعية، فولدت لوحة الشرعية.

لوحات الشهداء

تأثر الفنان القطامي تأثراً بالغاً بالأضرار والآثار التي خلفها الغزو العراقي على دولة الكويت عام ١٩٩٠، وقد عبر عن هذا التأثر من خلال ريشته التي رسمت لوحات صادقة ومعبرة عن تلك الكارثة، وعفوية وصدقية هذه اللوحات أنها جاءت من شخص عايش تلك التجربة وشاهدها بأم عينيه، ثم عاشها بفنه وإحساسه المرهف، ونسجها لوحات مختلفة يحمل كل منها معنى خاصا وعبرة معينة.

فلوحته (شهداء الكويت) التي رسمها بالألوان المائية عام ١٩٩١ تظهر ثلاثة شهداء من أبناء الكويت، وقد أصابت أجسادهم الطاهرة نيران الغدر والحقد فأسقطتهم على تراب الوطن الغالي، الذي أخذ يتشرب دماءهم الزكية ليمزجها معه، معبراً عن تلاحم أبناء الوطن بترابه الطاهر.

وخلف الشهداء الثلاثة رسم الفنان بضعة بيوت كويتية بدت شاحبة كأنها تبكي أولئك

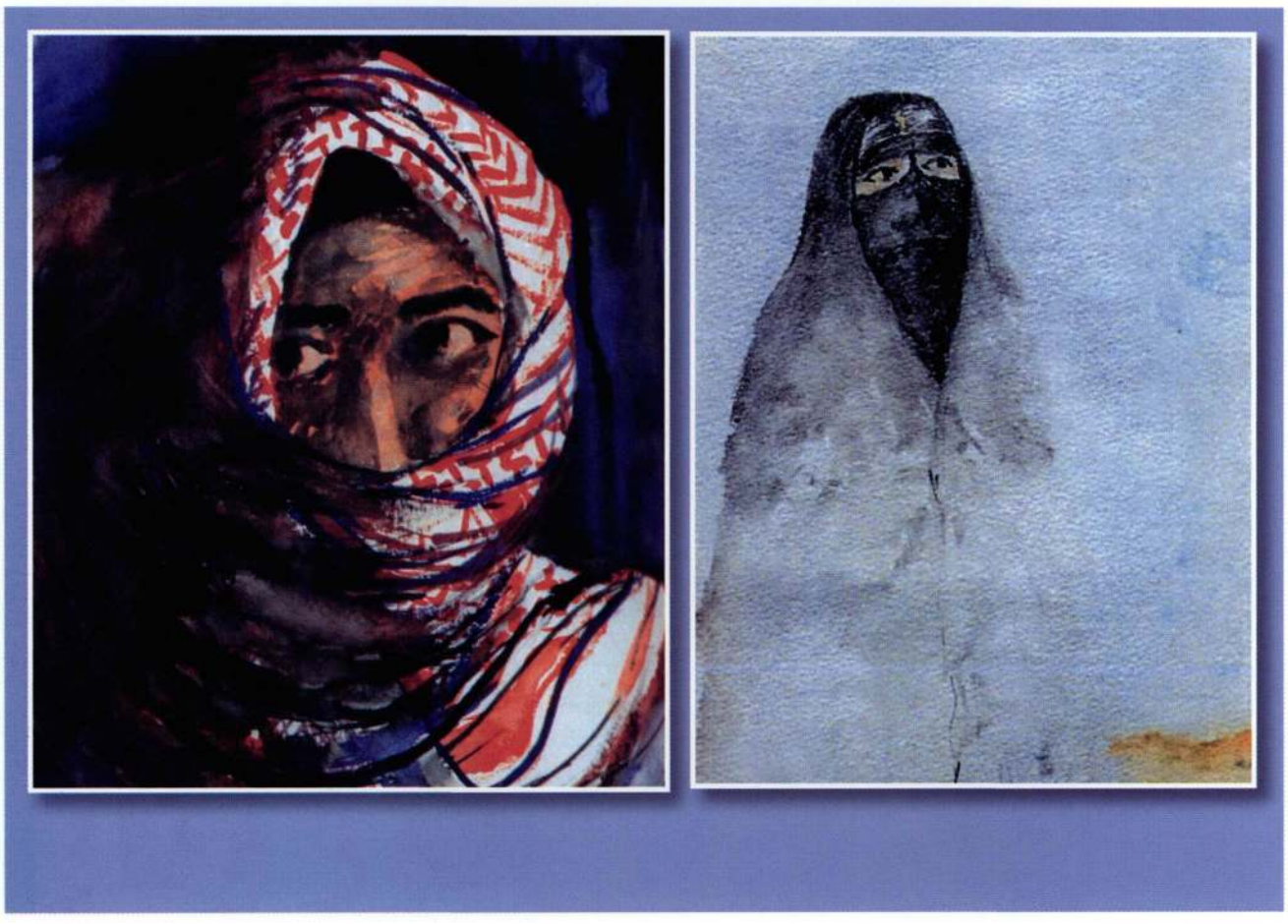

وفي هذا الشأن يقول الأديب والأكاديمي الكويتي الدكتور خليفة الوقيان: وفنان مثل بدر القطامي يتنفس حب الكويت، ببحرها وبرها وسمائها، بأسماكها وأعشابها وطيرها، لم يستطع مغادرة الكويت حين حل البلاء، وبقي مرابطاً، وقد اختزنت ذاكرته مشاهد العدوان على الأرض والبحر والسماء، والإنسان والحيوان والطير.. والعدوان على ما

الشهداء، وترثي ما أصابهم وتكفكف دموعها، وبدا القمر واضحا جليا في سماء الكويت، كأنما ينذر بفجر قريب بعد ظلام دامس وطويل.

ومن لوحات القطامي أيضاً لوحة (الشهيد على الأرض المحروقة) التي رسمتها ريشته المبدعة عام ١٩٩٠ بالزيت، وهي من مقاس (١٠٠x٧٤ سم). وفي تلك اللوحة يظهر الشهيد وهو مسجى على أرض الكويت الطاهرة، وقد وضع رأسه وسط خريطة الكويت، وامتد جسده الطاهر ليشمل جميع مناطقها وكأنما هذا الشهيد يعبر عن أبناء الوطن جميعاً.

وأظهر القطامي ببراعته المعهودة أرض الكويت وقد أصابتها نيران الغزو فأحرقتها، فبدا بعضها مسوداً والآخر بلون أحمر قاتم، فيما ظهر الشهيد وسط تلك الأرض المحترقة ليبقى نبراسا للأجيال وقدوة للمدافعين عن حياض الوطن.

واللوحة الثالثة في موضوع الشهداء للفنان القطامي هي تلك اللوحة المعبرة عن الشهيدة أسرار القبندي، التي ضحت بدمائها الزكية في سبيل الدفاع عن تراب الوطن واستقلاله وسيادته، وقد عبرت هذه اللوحة التي رسمها الفنان بالزيت وجاءت في مقاس (٨٠ x٦٠سم) عما كان يختلج في صدر أسرار حين تصدت لذلك الغزو، وكأنها تقول: (كل شيء يهون في سبيل الكويت).

وبدت اللوحة قاتمة في جميع جوانبها إلا وجه تلك الشهيدة، حيث عمد القطامي إلى إبراز ضيائه ونوره، وكأنما يشع ألقاً، لينير للأجيال القادمة طريق الحرية والاستقلال، ويضيئ لهم الأمل بمستقبل مشرق تتخلص فيه الكويت من نير الاحتلال ونار الغزاة.

وفي لوحته الرابعة التي حملت عنوان (الجريمة) ورسمها بالزيت وجاءت في مقاس (١١٠x٨٠ سم)، يجسد الفنان صورة الكويت إبان الغزو العراقي، حيث يقف جندي عراقي يحمل رشاشه بيديه الاثنتين وقد صوبه نحو عدد من الشهداء ليلقوا حتفهم تتجمع أجسادهم الطاهرة فوق بعضها وقد ظهرت وجوههم وهي تبرق أملاً للأجيال المقبلة بغد حر كريم.

وفي أحد جوانب اللوحة رسم الفنان امرأة كويتية وقد ربطت يداها بعمود أسندت إليه، وقد أشيح بوجهها عن منظر القتل، بينما ظهرت مشدودة القامة مرفوعة الصدر معتزة بشجاعتها فخورة ببطولتها، كما ظهرت في اللوحة نفسها بعض البيوت والمساجد خلف الشهداء، بدت خربة مظلمة حالكة كأنما تعبر عن الحال التي وصلت إليه في ظل المعتدين.

لوحات الأسرى

ولم ينس الفنان القطامي أولئك الأبرياء الذين أسروا من البيوت والمساجد والشوارع، وسيق بهم إلى زنازين المعتدي الغازي ليزجوا خلف أسوار عالية وجدران حالكة وأحجار صامتة، فقد نال أولئك الأسرى الذين قاوموا الغزاة حظا وافراً من أعمال القطامي الفنية، تمثل أحدها في لوحة رسمها بالزيت وجاءت في مقاس (٦٥x٥٥ سم)، وفيها يظهر اثنان من الأسرى الكويتيين بلباس خفيف وقد بدت على وجهيهما آثار المعاناة والأرق.

لكن الفنان يظهر الأسيرين وهما ينظران إلى الأفق البعيد، إلى اليوم الذي تستعيد فيه البلاد حريتها ويشرق فجر الاستقلال من جديد، ويبدو الأسيران شابين يافعين ليعبرا عن الممارسات التي كان العدوان يستخدمها ضد الكبار والصغار دونما تفريق.

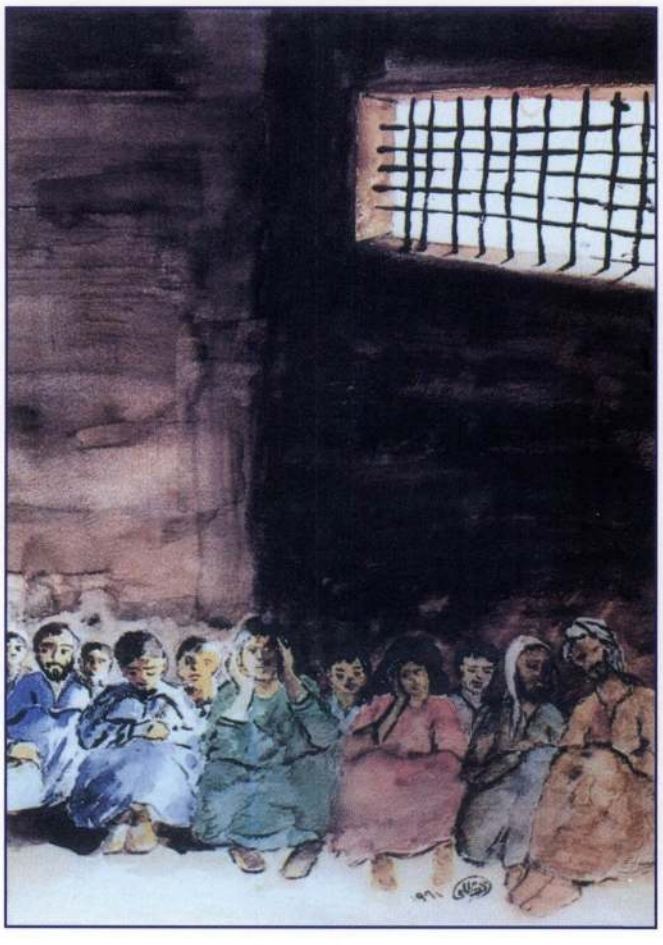

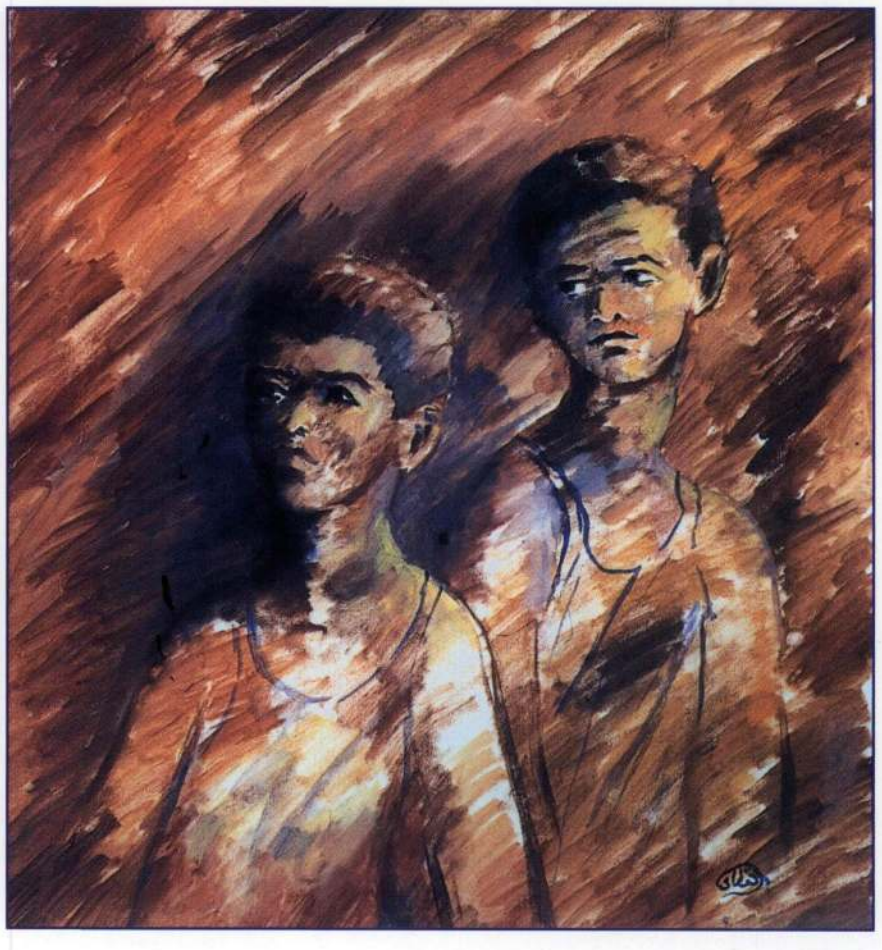

وفي لوحة أخرى للقطامي ينسج الفنان بريشته صورة لعدد من الأسرى، رجال ونساء وأطفال جلسوا على الأرض بثيابهم المنزلية، فيما بدت جدران المعتقل خلفهم سوداء كالحة، وقد بدت في هذه اللوحة التي رسمت بالألوان المائية - وجاءت في مقاس (٤٥ X ٣٠سم)، بدت قضبان المعتقل السوداء التي يدخل من خلالها بعض النور والهواء، فيما ظهرت وجوه الأسرى مفعمة بالأمل.

عودة الشرعية

كثيرة هي اللوحات التي أبدعتها يد الفنان القطامي عن مرحلة الغزو العراقي المرة، فمنها بعض اللوحات عن الشهداء والأسرى، ومنها لوحات عن الدمار الذي أصاب مناطق الكويت ومعالمها وآثارها، ومنها ما يدل على مقاومة أهلها وشجاعة أبطالها، ففي إحدى تلك اللوحات يرسم القطامي لوحة معبرة عن مقاوم كويتي، وضعها بالألوان المائية وجاءت في مقاس (٤٠X٣٠سم)، ويظهر فيها شاب كويتي واضعاً على رأسه الشماغ الأحمر ليخفي بعض معالم الوجه، فيما ترنو عيناه إلى أمر يدقق فيه. وبدت قسمات وجهه معبرة عن شخص متوثب للقاء العدوان يترقب حدوث أمر ما ليبدأ عمله البطولي.

أما اللوحة الأخرى المعبرة عن مرحلة العدوان فهي لوحة (عودة الشرعية) التي رسم فيها الفنان حشود أهل الكويت، التي تجمعت بكبيرها وصغيرها ورجالها ونسائها متطلعة لاستقبال الشرعية الكويتية المتمثلة في سمو الأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح - رحمه الله - الذي عاد وقتذاك إلى أرض الوطن بعد أن منّ الله عليها بالحرية.

وتظهر اللوحة التي رسمها الفنان بالألوان الزيتية، وجاءت في مقاس (١٤٥X٩٠سم)، البشر والفرحة على وجوه أبناء الكويت وهم يحملون أعلامها وصور قائدها وأميرها إضافة إلى لافتة كتب عليها (كلنا للكويت).

لا ريب أن لوحات القطامي عبرت بصدق عن وضع الكويت ومأساتها خلال الغزو العراقي، وستبقى رسومه علامات فارقة لأحداث الغزو ووقائعه، لتكون نبراسا للأجيال القادمة.

عبدالكريم المقداد

راعي الغنم الذي أغاظ إسرائيل فصادرت مواشيه وباعتها بالمزاد!

الشهيد فايز محمود ..
مسدس في مواجهة جيش

عبر خط وقف إطلاق النار أكثر من ٨ مرات لرصد تحركات العدو.

اعتقلته سلطات الاحتلال مرات عديدة وحكمت عليه بالسجن ٨ سنوات.

ضغطوا عليه وأغروه ليزودهم بتحركات الجيش السوري فرد عليهم بالسخرية والشتائم.

لم يكن يحتمل النفاق والرياء، وكل شيء عنده كان محصوراً في صدق الانتماء، وأحاديثه منذ يفاعته لم تتجاوز الوطن والجولان.

نجا عام ١٩٧٦ من نيران الصهاينة بأعجوبة، بينما تعرض شقيقه (نسيب) لإصابات بالغة مازال يعاني منها حتى الآن.

لم يكن قائداً، ولا رجل سياسة، ولا عسكرياً محترفاً، بل، إنساناً بسيطًا من أسرة بسيطة، فقيرة امتهنت تربية ورعي الغنم، فكانت الحرية والطبيعة بفضائها الرحب حياته كلها، وإذن، ماذا سيتبقى من هذه الحياة إذا صودرت الأغنام، وفخخت الأرض بالألغام؟ وكيف للحمل أن يظل وديعاً وهو يشاهد المحتلين يجرفون أرضه، ويحرمونه من الوصول إلى دوالي العنب وأشجار اللوز التي أفنى وأهله أعمارهم في زراعتها ورعايتها؟!

إنه الشهيد فايز سعيد محمود ابن بلدة (مجدل شمس) في الجولان السوري المحتل، الذي لم يجد أمامه، وهو يرى ويعاني من ممارسات سلطات الاحتلال الصهيوني التعسفية ضد أهله وأبناء شعبه، إلا الانضمام إلى المقاومة الوطنية الباسلة.

لم يكن من زعامات الجولان التقليدية، بل كان زعيماً من نوع آخر توجته بطولاته الصغيرة ضد الغاصبين، فأحاديثه منذ يفاعته لم تكن تتجاوز الوطن والجولان. لم يكن يحتمل النفاق والرياء، فكل شيء عنده كان محصوراً في صدق الانتماء، ولطالما حمل روحه على راحتيه في المرات العديدة التي عبر بها خط وقف إطلاق النار لاستطلاع تحركات واستعدادات العدو، وقد تمكن من الكشف عن الكثير من البرامج والمخططات الإسرائيلية، ونقلها إلى السلطات السورية.

وبعيداً عن الممارسات الإجرامية التي كان يرتكبها جيش الاحتلال بحق أبناء بلدته، عانى الشهيد نفسه وأسرته من تنكيل الصهاينة الذي لم ينقطع، ففي شهر أبريل من عام ١٩٧٦ تعرض أثناء رعيه الماعز إلى إطلاق نيران إسرائيلية نجا منها بأعجوبة، في حين أصيب شقيقه (نسيب) في الجانب الأيمن من جسمه إصابات مازال يعاني منها حتى اليوم، وكل ذلك بحجة دخولهما إلى أرض عسكرية، هي في الحقيقة مرعى لبلدة (مجدل شمس) حوّلها الجيش الإسرائيلي إلى منطقة عسكرية مغلقة.

ولعلم سلطات العدو بنشاطات الشهيد في اختراق خط وقف إطلاق النار مرات عديدة ونقله معلومات مهمة عن تحركات قواته إلى دمشق، دون أن تتمكن من ضبطه، عمدت هذه السلطات في عام ١٩٧٦ إلى اعتقاله بتهمة الاعتداء على سيارة عسكرية، والدخول مع مواشيه إلى أراض عسكرية مغلقة، فحجزته في مركز التحقيق في (عكا) لمدة أسبوعين، مارست عليه خلالها كل أصناف الضغوط من أجل تزويدهم بمعلومات عن تحركات الجيش السوري، فلم تكن إجابته إلا شتمهم والسخرية منهم.

منذ تلك الأيام ظل الشهيد تحت أنظار الأعداء، يحاولون الإيقاع به بأي وسيلة، إذ قاموا بمداهمة منزله أكثر من مرة خلال الإضراب الشامل والمفتوح الذي نفذه أهالي الجولان عام ١٩٨٢، حيث كان الشهيد يتولى مع عدد من زملائه لجان الحراسة الشعبية، التي كانت ترصد تحركات قوات الجيش والشرطة قبل مداهمتها بيوت الأهالي، واعتقال من تجده فيها بشكل تعسفي.

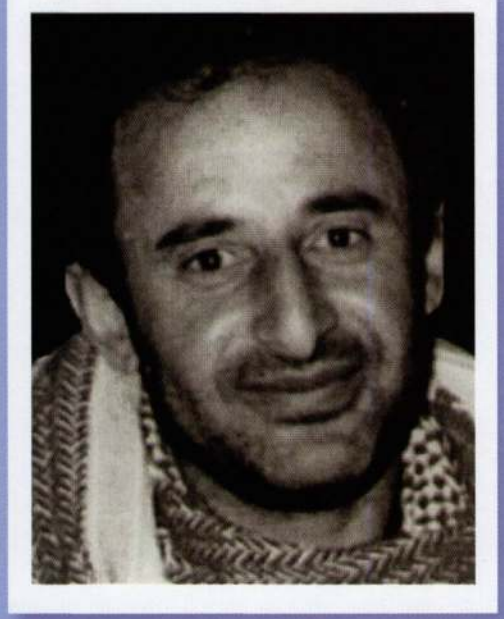

٨ سنوات خلف القضبان

ولما فاض الكيل بسلطات الإحتلال عمدت إلى اعتقاله، بتهمة التعامل مع أجهزة المخابرات السورية، وعبور خط وقف إطلاق النار لأكثر من ثماني مرات ذهاباً وإياباً، وتزويد المخابرات السورية بتفاصيل عسكرية وحقائق عما كان يحدث في الجولان من أحداث، وقد حكمت عليه تلك السلطات آنذاك بالسجن لمدة ثماني سنوات، قضى منها سنة وثمانية شهور متنقلاً بين معتقلات عكا و(الجلمة)، إلى أن تم الإفراج عنه خلال عملية التبادل التي جرت بين سورية وإسرائيل، وتم بموجبها تحرير الشهيد فايز محمود و ١٢ مناضلاً سورياً من الجولان المحتل.

بيد أن سلطات الاحتلال لم تترك الشهيد وشأنه، بل واصلت محاولاتها لتقييد حركته بأي شكل، وهو ما دفعها عام ١٩٨٦ إلى مصادرة وسرقة ١٨٠ رأساً من ماشيته ومواشي عائلته، ونقلها إلى بئر السبع بحجة الاعتداء على أراضي الدولة الإسرائيلية.

رئيس مجلس بلدة (مجدل شمس) تركي العجمي أخبر والد وشقيق الشهيد بأن المقصود من مصادرة المواشي هو تحركات ونشاطات فايز مع السلطات السورية، وطلب منهما أن يضغطا عليه حتى يكف عن ذلك، لافتاً إلى أن السلطات الإسرائيلية اشترطت أن يراجعها الشهيد فايز شخصياً لاسترجاع المواشي المصادرة.

ولما رفض الشهيد الإذعان لطلب السلطات الإسرائيلية، قامت ببيع المواشي في مزاد علني، إلا أن تجاراً فلسطينيين من مدينة الخليل سارعوا إلى شرائها بهدف إعادتها إلى أصحابها، بيد أن إسرائيل علمت بمخططهم، فهددتهم بمصادرة كل المواشي التي اشتروها إذا ما حاولوا إعادتها إلى مجدل شمس.

رغم كل ذلك واصل الشهيد نشاطه النضالي، ولم ينقطع عن عبور خط وقف إطلاق النار، إلا أنه وفي الثالث والعشرين من نوفمبر عام ١٩٩٠، وأثناء محاولته عبور خط وقف إطلاق النار من منطقة (المغارة)، فوجئ بجنود الاحتلال الصهيوني يعترضون طريقه، فتبادل معهم إطلاق النار من مسدسه الصغير، الذي سرعان ما فرغ من الطلقات، فوجد الشهيد نفسه عارياً أمام الجنود المدججين، الذي تمكن أحدهم من معاجلته برصاصة قاتلة، خر على إثرها شهيداً ولم يكن يتجاوز الخامسة والثلاثين من العمر.

جولته الأخيرة

لم يترك الشهيد فايز حمود ولداً أو زوجة، كان يتجنب الحديث عن الاستقرار العائلي، ما دام هناك شاغل وطني يشغله.

لكنه ترك وراءه شريطا من الذكريات تعشش في وجدان فايز ابن العشرة أعوام، حيث أطلق شقيقه غسان اسمه على ولده.

قيل، إنه قبل سويعات من رحلته الأخيرة، تجول في شوارع مجدل شمس جولته الأخيرة، وعاد إلى خيمته المنصوبة على سطح المنزل، والتي كانت قاعدة الانطلاق وقاعدة الوداع، يراقب من خلالها ذلك الخط الذي يفصل بين موته وحياته.. انتظر حتى ساعات الليل، ثم انطلق في رحلته الأخيرة، حاملاً معه وجه الجولان ووجدانه إلى هناك حيث اعتاد المضي في تأدية الواجب والمهمات، لكن رصاص الغدر كان في الانتظار، إلا أن الشهيد، ورغم التفاوت الصارخ بين سلاحه وسلاح الأعداء، أبى إلا أن يموت واقفاً كالأشجار، وأصبعه على زناد مسدسه الصغير.

بدمائه خط انطلاقة استقلال بلاده

ملاك نصر

خوسيه مارتي ..

عـرّاب الثـورة الكـوبيـة

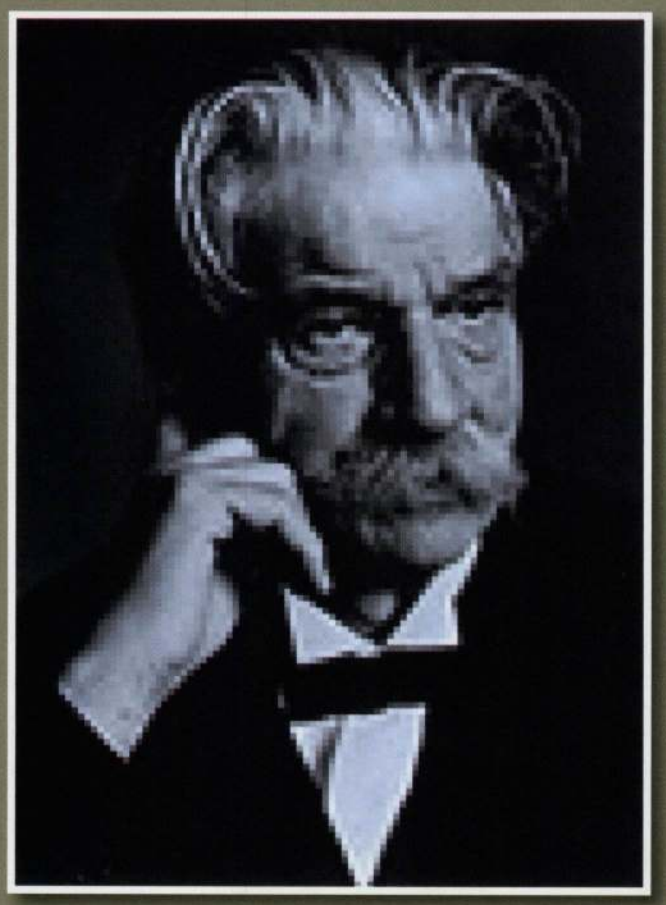

ضـاق ذرعاً بالظلم والبؤس والعبودية التي صـبغت حياته منذ سـنواته الأولى، فما أن وصل الخامسة عشرة من عمره حتى أعلن رفضه الصـريح للتسلط وسلب الحريات، وأطلق رصاصته الأولى في ثورة ضد الاستعمار تواصلت على مدى سنوات عمره، وانتهت بمصرعه في ساحة الوغى، لتشكل نهايته البداية الحقيقية لاستقلال بلاده من نير الاستعمار الاسباني .. إنه عرّاب الثورة الكوبية، الشاعر والروائي والمناضـل (خوسـيه مارتي) الذي هجر الكتابة والمكاتـب فور بدء المعركة ليكون جندياً مقاتلاً في الصـفوف الأولى على جبهة القتال.

تربى مع شقيقات سبع في أجواء شديدة البؤس والشقاء، وكانت حياته سلسلة من المنافي.

لم يكن قد جاوز الخامسة عشرة من عمره حين أصدر صحيفة أسماها (الشيطان الأعرج) نسبة إلى الاستعمار الإسباني.

(حب الحرية) دعوته التي عاش ومات لأجلها رافضاً أن يسود حرب التحرير أي نوع من العنف والكراهية.

ترك رئاسة الحزب والجريدة وتقدم صفوف المحاربين على الجبهة في معركة شهدت مصرعه .. وآذنت باستقلال البلاد.

كان يحلم بوطن حرّ ليس لبلاده فقط، بل لكل قارة أميركا الجنوبية التي كان يسميها (أمي أميركا).

وُلد في أرض تنبت البؤس والعبودية، بعدما زرعها الاستعمار ببذور القهر والاستعباد، ومات على أرض احتضنت دماه لكي تنبت الحرية والعدل.. عاش الظلم والقهر فبنى حياته على مبدأ: «الحب يكافأ بالحب»، وقدم لكوبا وأميركا الجنوبية والعالم نموذجاً فريداً في الجمع بين القلم والبندقية.

المنابع الأولى

في اليوم الثامن والعشرين من شهر يناير عام ١٨٥٣، كانت كوبا المحتلة من الإسبان على موعد مع محررها وأمير ثورتها على الظلم والاستبداد .. عندما ولد «خوسيه چوليان مارتي بيريز» من أب عسكري بالمدفعية الملكية وأم قادمة من جزر الكناريا بكوبا.

وُلد في أجواء شديدة البؤس بسبب رزوح الشعب الكوبي إبان القرن التاسع عشر تحت الأقدام العسكرية الإسبانية الثقيلة .. تربى وعاش كصبي وحيد مع شقيقات سبع في ظل بؤس يومي يؤججه شقاء العيش والعبودية والظلم في هذه الأجواء عاش طفولته وصباه دون أن يلفت الانتباه، إلى أن وصل مرحلة الدراسة الثانوية، وفجر أولى رصاصات ثورته على الاستعمار حيث أصدر صحيفة أسماها «الشيطان الأعرج» نسبة إلى الاستعمار الإسباني ولم يكن وقتها قد تجاوز الخامسة عشرة، وكانت تلك الصحيفة «حربه الرومانسية» على الاستعمار طلباً للحرية وقد سميت حربه «الحرب الرومانسية» لأنه الشاعر والأديب والصحافي الذي ربط ربطاً خارقاً للعادة بين الشعر والنضال لأجل الحرية. لكن صحيفته الغراء تلك لم تدم سوى عدد واحد بعد قرار من الحاكم آنذاك بإغلاقها.

من الحرية إلى السجن

لم ييأس الصبي خوسيه مارتي من وأد صحيفته الوطنية وهي في المهد، إذ سارع حين اندلعت حرب السنوات العشر في وطنه كوبا، إلى إصدار نشرة بعنوان «الوطن الحر» لكي ينشر فيها أفكاره الثورية ضد الاستعمار .. لكنه وبسبب ما أعلنه فيها من نقد لاذع لمجموعة من الكوبيين أطلق عليهم اسم «المتطوعون» كانوا يتصدون للاستعمار الإسباني بالشعارات فقط، بينما كانوا في الحقيقة يشكلون نموذجاً صارخاً للفساد، وبسبب نقده هذا لهم، أدخل خوسيه مارتي محاكمة علنية، مع صديق له، لكنه فضل أن يحمل المسؤولية وحده، وبرأ صديقه من التهمة، لكنه وجد في هذه المحاكمة فرصة ليعبر عن آرائه فهاجم القضاة العسكريين الذين يحاكمونه واتهمهم بذبح العدالة على مذبح التربح والمصالح الشخصية .. فحكم عليه بالسجن لمدة ست سنوات مع الأشغال الشاقة، وفي فترة قضائه لتلك العقوبة الظالمة صدر قرار بنفيه إلى إسبانيا، لكي يدخل مارتي مرحلة جديدة في صراعه مع القهر والاستعمار.

سلسلة من المنافي

لم تكن مسألة نفي «خوسيه مارتي» خارج وطنه كوبا إلى بلد المستعمر سوى فرصة عظيمة، استغلها بالتسلح بأسلحة لا تقتل البشر بل تقتل الظلم والعبودية .. حيث درس الحقوق وحصل على شهادة في القانون المدني كما حصل في العام نفسه على شهادة الفلسفة والآداب قبل مغادرته اسبانيا إلى فرنسا ثم المكسيك حيث عرض فيها أولى مسرحياته الشهيرة «الحب بالحب يكافأ»، ثم سافر إلى جواتيمالا ليعمل مدرساً لفترة محددة فيها قبل أن يطرد منها بسبب تضامنه مع أحد زملائه ضد الظلم هناك أيضاً وفي تلك الأثناء رتبت له العناية الإلهية العودة إلى وطنه، بعد صدور قرار من الحكومة الإسبانية بالعفو عن الثوار الكوبيين، فعاد وزوجته وطفله الرضيع.

بعد عودته إلى هاڤانا كأسرة تضم ثلاثة أشخاص، فوجئ جوسيه مارتي بالأوضاع

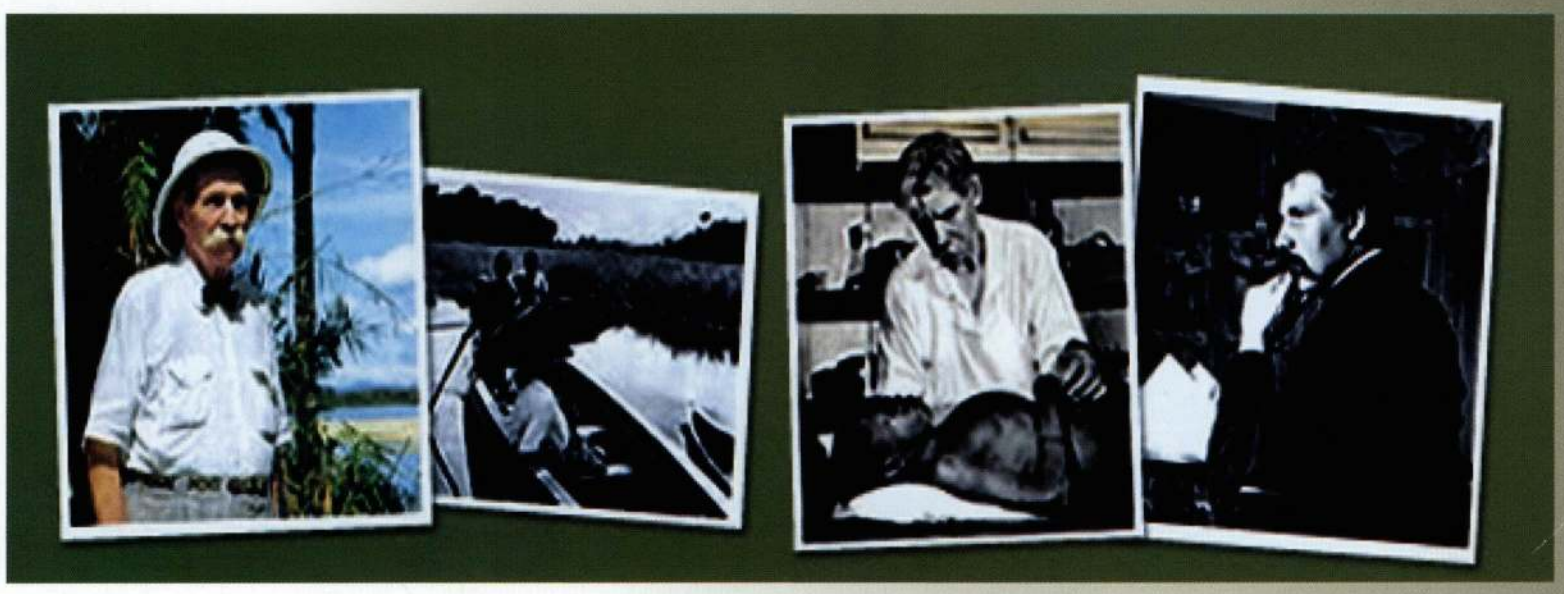

المتردية داخل وطنه، حيث تمت مساومة ما بين الاستعمار الأسباني القابض على مصير الوطن وبين الطبقة البرجوازية فيه التي انحازت لمصالحها الخاصة، حيث أعلن رجال الإقطاع وغيرهم الاستسلام والمهادنة مع المستعمر وأوقفوا عمليات المقاومة، وظل الوضع على ما هو عليه لمدة عشر سنوات شعر فيها خوسيه مارتي بالغربة في وطنه ومع قيام جنرال في الجيش الكوبي يدعى «جراجاليس» بحركة تمرد على هذا الوضع وقيادته لحركة «احتجاج بارجواه» صدر قرار بنفي الكثيرين ومعهم خوسيه مارتي مرة أخرى! ولكن تلك المرة إلى الولايات المتحدة الأميركية فكانت الفرصة الأكبر في حياته النضالية لتحرير وطنه من براثن الاستعمار الإسباني.

المرحلة الأخصب

بدءاً من العام ١٨٧٩ صارت فترة إقامة خوسيه مارتي في أميركا من أخصب فترات حياته الأدبية والنضالية، حيث كان لها التأثير الأعظم في مسيرته نحو حرية بلاده. فمن جهة أقام علاقات قوية مع شخصيات أميركية بارزة من المثقفين والسياسيين والأدباء ودعاة السلام، ومن جهة أخرى، تفجرت داخله ينابيع الإبداع كشاعر وأديب، ليصير أحد أربعة أدباء يعتبرون مؤسسي الأدب اللاتيني الحديث وهم: جوتيريز ناسيرا، وروبيرون، ودلكاسال، وخوسيه مارتي، الذي تمكن في تلك الفترة من الكتابة بالصحف واسعة الانتشار ومراسلة صحف دولية أخرى.

كانت دعوته التي عاش ومات لأجلها هي «حب الحرية» والنضال ضد الظلم في أصغر حالاته، لكنه بنى هذا النضال على أسس أخلاقية متينة، فقد رفض أن يسود العنف والكراهية الحرب لأجل التحرير من الظلم، ذلك أنه كان يحلم بوطن حر ليس فقط لبلده كوبا بل لقارة اميركا الجنوبية بأسرها التي كان يطلق عليها اسم «أمي أميركا».

كانت كوبا تخطو خطوة واسعة تجاه حريتها في العام ١٨٩٢ عندما تحول الشاعر والأديب «خوسيه مارتي» من كتابة الشعر إلى تأسيس حزب سياسي يدعم مسيرة التحرير سماه (الحزب الثوري الكوبي) ووضع فيه فلسفته القائلة بأن التحرر سيتم إن تنازلنا جميعاً عن مصالحنا الشخصية، وقد طبق هذه المقولة حرفياً على نفسه أولاً، عندما رفض أن يتخذ لنفسه لقب «رئيس الحزب». مع أنه مؤسسه واكتفى بلقب «مندوب الحزب».

وهكذا انتقل من الأدب والبلاغة إلى مزيد من أرض الواقع .. لكنه لم ينس أبداً أنه يمتلك سلاح الأدب والصحافة، فأسس بعد الحزب صحيفة سياسية أسماها «الوطن» أو (بارتا)، لتكون منبر حزبه الجديد، وبذلك نجح نجاحاً مذهلاً في تكوين وتأسيس نموذج الأديب المناضل، ولعل في كلماته إلى تلميذه وتابعه الأمين «كيسادا» ما يعبر عن ذلك أشد تعبير عندما زف إليه بشرى الثورة الكوبية قائلا: «إن مديح كوبا بالكلام فقط لا يكفي، ولكن العمل الذي نزمع القيام به هو ما تستحقه، إنني لا أجد صفحة واحدة جديرة بالكتابة عن كوبا، فقط سوى العمل لأجلها».

المعركة الأخيرة

في عامة الثاني والأربعين .. ترك خوسيه مارتي الخطابة والشعر والبلاغة ورئاسة الحزب والمؤتمرات .. ليتقدم الصفوف، لا صفوف التشريفات واللقاءات السياسية، بل صفوف القتال! فقد قرر الوقوف في صف المحاربين في معركة ضد الاستعمار الإسباني لبلاده وكانت أول وآخر معاركه العسكرية حيث لقي فيها حتفه ليكون نموذجاً للقلم والسلاح معاً ضد العبودية والقهر والاستبداد.

انتهت حياته في ريعان الشباب (٤٢ عاما)، لكي يبدأ وطنه بعدها حياة جديدة حيث صارت تلك المعركة معركة دوس ريوس التي وقعت عام ١٨٩٥ وتحديداً في التاسع عشر من مايو أشهر معركة في تاريخ كوبا وصار هذا اليوم عيداً قومياً للبلاد احتفالا باستشهاد خوسيه مارتي أو «شهيد استقلال كوبا» .. حيث صارت أشعاره تأريخاً سياسياً للصراع لأجل التحرر، وصارت مواقفه سجلاً لروح الحرية في أميركا الجنوبية التي كانت عاتية ولم تهدأ إلى أن استقرت في كافة أنحاء تلك القارة.

مارتي والعرب

كان من أكبر المعجبين بالعرب والحضارة العربية والإسلامية .. فعلى مدار أعماله الكاملة التي تضم ٢٨ مجلداً، ألف أشعاراً مميزة وروايات ومقالات دارت في أغلبها حول حضارة العرب والشرق.

- ألف قصة شعرية لابنه سماها «إسماعيل الصغير» وألف مسرحيته «عبدالله» وهو بطل مصري من النوبة.
- يقول عن العرب: «إنهم كائنات رشيقة محببة، تكون شعباً هو الأكثر نبلاً وجمالاً على وجه الأرض».
- بهرته العمارة المصرية القديمة، وقصور الحمراء في إسبانيا.
- كان من أشد المعجبين بالقائد الإسلامي عمرو بن العاص.
- تمتلئ أعماله الروائية والشعرية بالكثير من الشخصيات العربية أمثال: الأمير عبدالقادر الجزائري، أحمد عرابي، محمد علي باشا، السلطان الحسن سلطان المغرب، وغيرهم.
- استلهم في الكثير من أشعاره شخصية المرأة العربية التي كان مفتوناً بها، ومن قصائده الشهيرة قصيدته المؤلفة من ١٦٠ بيتا تعكس إعجابه الشديد بالمرأة العربية في سنوات عمره الأخيرة، اهتم بشدة بقضايا العرب ضد الاستعمار في البلاد العربية وشمال أفريقيا، وكتب في ذلك مقالات عديدة، ودراسات منها ما يخص الثورة العرابية بمصر.

سلطان العميمي

صك المحبة

قبلت رملك صبح ذكرى العيد
وسكبت روحي في مداد نشيدي
وزرعت نخلا في سمائك مثمرا
أسقيه نبعا من عيون قصيدي
أحروف شعر أم صكوك محبة؟
كالنبض تسري في دماء وريدي
علم يرف وما سئمت عناقه
حتى وددت بحمله تقليدي
قمطت فيه وكان مهد طفولتي
فغدا اللباس وحلة التجنيد
كحروف عشق ما مللت غناءها
ككلام حب في شفاه الغيد
يحلو بذكرك كل لحن صادح
للخلد، للتاريخ، للتمجيد
اليوم يومك يا بلادي فارفلي
بثياب عز في الفلاة وميدي
ماذا أقول لقائد في كفه
نبت السلام وعم رمل البيد؟
ماذا أقول لمجده وسموه؟
ماذا أخط واسمه ترديدي؟
ماذا أقول وكل ما بي ناطق
جددت عهدي فاقبلي تجديدي